الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة السانية - أحمد بن بلة1 -

كلية الآداب والفنون

قسم اللغة والأدب العربي

مقاصد الإحـــالة في النَّص القرآني

دراسة تحليلية في بعض الآيات القرآنية

موضوع مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية

مشروع: بلاغة القرآن الكريم – دراسة في الأساليب.

إعداد:
الطالب: لغويني بوقراف

إشراف:
أ.د/ محمد ملياني

2015/06/15

الاســـم و اللقب	الدرجة العلمية	الجامعـــة	الصفـــــة
أ.د. ناصر سطنبول	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	رئيســـا
أ.د. محمد ملياني	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	مشرفا ومقررا
أ.د.عبد الحليم بن عيسى	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	عضوا مناقشا
أ.د. محمد برونة	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2015/2014

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

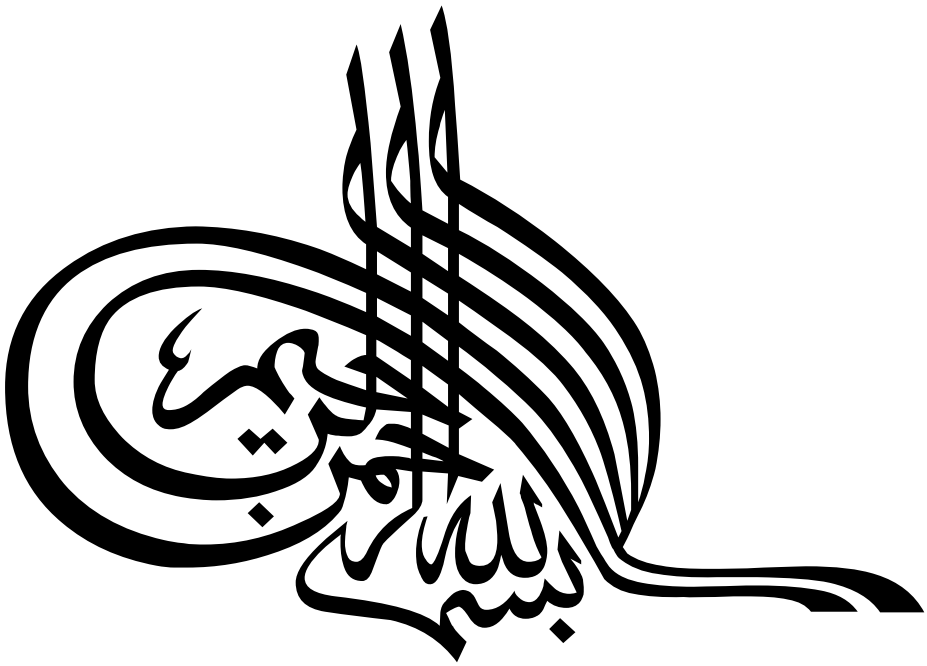

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقدمـــــة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

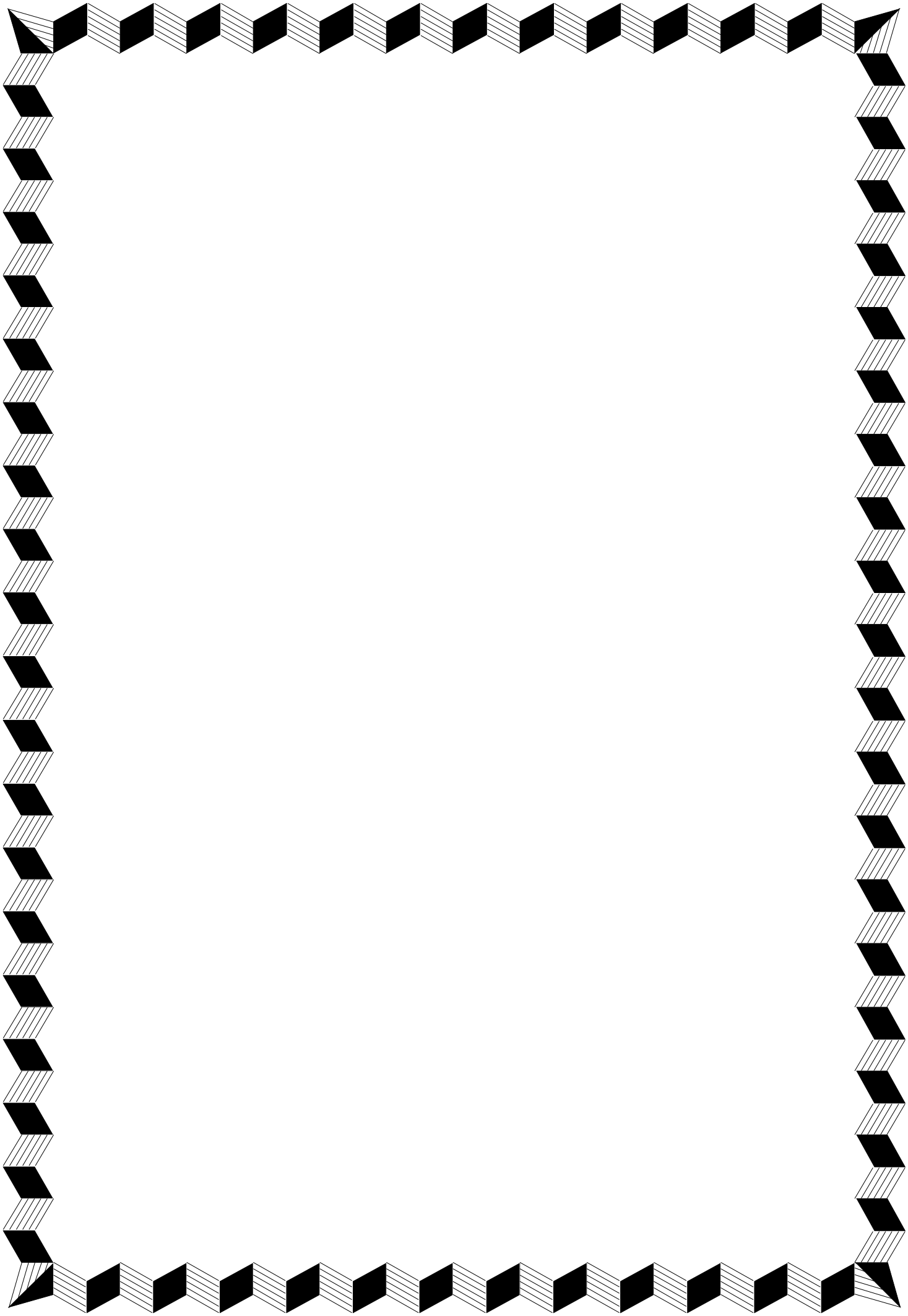

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مُقَدِّمَة

بسم الله الذي خلق الإنسان وأكرمه، وأجزل عليه من الخيرات ونعَّمَه ، فأرسل إلينا رسولا به أعزّ الإسلام وأتمَه ، بخير لسان كان نُطْقُه قد قوَّمَه، فجاءنا بالقرآن قد وعاه فأحْكَمَه، فاللهمّ صلّ وسلّم عليه وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين .

وبعد، فإن الذي قدر الله له البحث في اللغة العربية، والغوص في معانيها، والتدبر في أسرارها، فقد أكرمه الله أن جعله في هذه المرتبة، ونعَّمه أن أحلّه هذا المقام، فهي اللغة المختارة للبيان، وبها قد أنزل القرآن .

والبحث في أسرارها قائم منذ القديم؛ إذ سبّل علماؤنا الأوائل أنفسهم في سبيل البحث عن مكنونات هذا اللّسان،والظّفر بما يحويه من معان رائقة وتأويلات خارقة، يتجلّى حسنها من تركيب إلى تركيب، والدّافع إلى هذا البحث كان سببه الخوف على اللسان من الضياع بسبب اختلاط الأعاجم بالعرب واتساع رقعة الإسلام، ولذلك اقتصروا في أبحاثهم على مستوى الجملة، ليكون الأمر أيسر في تدوين قواعد اللغة، وأبسط على المتعلمين الذين جرى اللحن على ألسنتهم وأصبحوا يزيغون عن المعاني التي هي بالأساس خاضعة للإعراب .

فكان هؤلاء الفرقة من النحاة قد أخذوا على عاتقهم تدوين قواعد اللغة العربية على حسب ما تمليه الحاجة الملحّة في ذلك الوقت، ولكن الأمر لم يكن كذلك عندما رجعوا إلى النص القرآني؛ إذ أصبح منهج تحليل الجملة غير كاف في استطراد جميع المناحي الجمالية لهذا

النص الخالد، فاستدعى هذا التوجه الجديد حضور التحليل النصي القائم على النظر في النص من حيث هو كل لا يتجزأ، وهذا ما كان واضحا جليًّا عند علماء البلاغة والأصوليين.

وهذا المنهج قد احتفى به تحليل الخطاب في عصرنا الحديث؛ إذ أصبح منظِّروه ينادون بضرورة التخلي عن منهج تحليل الجملة والتوجه نحو " **منهج تحليل النص**"؛ الذي يعدّ المنهج الأسلم في دراسة اللغة.

وإذا اتخذنا من النص الوحدة الصغرى للتحليل فإن ذلك يجعل الباحث يستجلي الكثير من المفاهيم الكبرى التي تشارك في بناء النص ، وهي غير خفية في بناء السّرح الكلي له، وذلك كالمقام والسياق الداخلي والخارجي للنص(الظروف المحيطة بالنص)، هذا من جهة.

أما من جهة ثانية فيسهل على الباحث إدراك المعاني المتشابكة داخل الزّمرة النّصية، والتي تتشكل في قوالب بنائيّة مُتساوقَة لا يتم فهم آخرها إلا بفهم أولها، وهذا ما يجعلنا ندخل فيما يسمى "بالاتساق والانسجام"، وهو مبحث شيّق اعتني به البحث اللساني الحديث.

والاتساق هو المفهوم الذي تقوم عليه العلاقة البنائية في التركيب، فلا يمكن أن تتأتى المعاني لدى المتلقي مثلما هي ماثلة لدى الكاتب، إلا إذا اتّسقت داخل زّمرتها النصية ،والذي يوجِدُ هذه المزيّة في النص خمسة عناصر _ كما حددها علماء النص _ منها :**الإحالة**.

وتكمن أهمية هذه الأخيرة من أنها ظاهرةٌ لغويةٌ نصِّيةٌ، لم تأخذ حظّها من الاستقلال على أهميتها في الدّرس اللُّغوي العربِي، فقد كَثُرَ الكلام عنها في الدِّراسات المعاصرة بوصفها .

جزءًا من ظاهرةٍ أعمَّ هي ظاهرة الرّبط، التي هي دون شك أحد أسبابه ومحدداته، ولكن لم تأخذ هذه الظاهرة حظها بالشكل الذي كان ينبغي له أن يكون، ومن هنا كان موضوع بحثنا يدور حول:"**مقاصد الإحالة في النص القرآني**".

ووقع اختيارنا لدراسة هذا الموضوع من خلال النص القرآني، لما يتميّز به من توفر الألفاظ المحيلة على تنوّعها بشكل ملفت للغاية.

ثم إن العنوان كان هذا شكله لكون أننا سوف نسعى جاهدين ــبإذن الله ــ إلى إبراز المرامي الإحالية الأخرى والتي نزيد فيها على الربط.

واقتضى أن يندرج تحت هذا العنوان ما يلي:

التمهيد: وتطرقنا فيه إلى:

- منشأ لسانيات النص عند الغرب، وأهم منظريها.
- ثم ذكرنا أهم الأعمال العربية الحديثة في مجال لسانيات النص.
- تموقع الدراسات النصية في الدراسات العربية عند المفسرين والأصوليين.

الفصل الأول:الإحالة ماهيّتها وموقعها من التواصل، وقد حوى هذا الفصل ما يلي:

- **مفهوم الإحالة.**
- **السياقات التي ترد فيها الإحالة.**

عناصر الإحالة.

التطابق بين المحيل والمحال إليه.

وظيفة الإحالة في إطار التواصل.

أنواع الإحالة.

الفصل الثاني:وسائل حدوث الإحالة في العرف اللساني وقد تمخض عن هذا الفصل ما يلي:

ضمائر الأشخاص.

ضمائر الإشارة .

الموصولات.

أسماء التفضيل.

الفصل الثالث:التحليل البياني لتموقع الإحالة في القرآن، وحوى هذا الفصل ما يلي:

الوسائل البيانية في استعمال الإحالة.

الوقف والابتداء ومتغيرات الإحالة.

بلاغة التقديم والتأخير بين المحيل والمحال إليه .

الأثر الإحالي في حسن النظم.

الخاتمة:وحوت مختلف النتائج المتوصَّلِ إليها من البحث.

وكان لزاما علي وأنا أتتبع هذه الظاهرة في القرآن الكريم أن أرجع إلى كتب التفسير _خاصة اللغوية منها_ عسى أن أحظى بتفسير للألفاظ المحيلة، فكان مستندي الأول:**تفسير التحرير والتنوير**.

وأما الكتب التي تتعلق بظاهرة الإحالة فإنني لم أعثر عليها باستثناء الإشارات الم ثبوثة هنا وهناك،مثلا في كتاب **حسن بحيري "من أشكال الربط في القرآن الكريم** "و **كتاب الأزهر الزناد"نسيج النص"**و"**الإحالة في نحو النص"لأحمد عفيفي**...إلخ، وهذه الكتب لم تروِّي ظمئي مما جعلني أجد صعوبة كبيرة في تجاوز إشكالية المفهوم.

والمنهج الذي اتبعته في استجلاء هذه الظاهرة هو:المنهج الوصفي التحليلي ؛ لأنه الأمثل في التعرف على متعلقات الظاهرة ومحدداتها، وعلى كثرة الإحالة في القرآن الكريم، صار الاستقراء الناقص ملاذي تجنُّبا لتوسع أطراف البحث.

وفي الأخير أسأل الله العظيم أن يمدني بعونه وسداده، وأن يوفقني في سبر أغوار البحث، وفي كشف اللثام عما هو غامض، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير.

كتبه الفقير إلى عفو ربه الباحث "بوقراف لغويني:"يوم"15جمادى الأولى 1436هـ.

التمهـــــيد

لسانيات النص / التشكل والمفهوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التمهيد :

تعتبر لسانيات النّص من أكثر المواضيع انتشارا في العصر الحديث إذ إنّها احتلت موقعا في الدّراسات اللّسانية المعاصرة لتصبح وجهة للدّارسين في مجال اللّسانيات، فتحوّلوا بهذا من دراسة الجملة كملفوظ أدنى في الكلام إلى دراسة النص كوحدة متناسقة تحكمها العديد من الظواهر اللّغوية، و بهذا الاعتبار فتح الباب واسعا لاستكناه أكبر عدد من الدّلالات ذات المرجعيّة النّصية ، لتصير بذلك عتبةً تحكم الجودة وعدمها داخل النّصوص المختلفة، إلّا أنّ القواعد التي كانت تحكم الجملة عبر امتدادها التاريخي الطّويل لم يتحول عنها البحث اللّغوي المعاصر في إطار توجّهه الجديد[1] .

فنَحْوُ النص- كما أشار **سعيد حسن بحري** – يعتمد على أغلب المصطلحات والمفاهيم المستخدمة في نحو الجملة ، إذ يتركز عليها نحو النص أيضا ارتكازا شديدا إلى الحد الذي يستحيل معه الفصل بينهما[2]، وهذا الذي لا بد من أن يكون، إذ أن النّص متكوّن من سلسلة من الجمل تقوم بينها روابط تركيبية وأخرى معنوية تؤكد بينها لحمة دلالية تجعل النّص كحلقات السّلسلة الواحد يشد بعضها بعضا .

ونشأة لسانيات النص بدأت مع بداية القرن المنصرم، حينما توجهت اللسانيات نحو نظرية تحليل الخطاب ، ففي عام 1952 قام **هاريس** بتقديم منهج لتحليل الخطاب، استخدم فيه اللّسانيات

[1] أعني به التوجه نحو لسانيات النص.

[2] ينظر: سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ، ط 1 دت، ص78.

الوصفيّة بهدف اكتشاف بنية النص وذلك في مقال له بعنوان (تحليل الخطاب) [1].

ولا يمكن أن نحصر منشأ هذه الأخيرة في لغوي واحد أو مدرسة واحدة ، وإنما هي جهود تكاملية انطلقت من دراسة الجملة كوحدة نصيّة لتصل إلى فاعليّة النص واعتباره الوحدة الكلية المنسجمة التي لا يمكن أن نفصم منها مكوناتها .

وأخذت ملامح هذا العلم تتبلور منذ الستينات لتزيد وضوحا في السبعينات حينما استطاع **دي بوجراند** أن يستعرض المسار التاريخي للسانيات النص في هذه الفترة و قبلها حيث قام بتقسيمها إلى ثلاث مراحل يقول **دي بوجراند** : «ففي المرحلة الأولى التي استمرّت حتى آخر الستّينيات، لا نجد غير إشارات تلمّح إلى أنّه ينبغي للنّص أو الخطاب أن يكون أساسا للدّراسات اللّسانية فنجد مثلا **نجاودن 1939 ، وهيلمسليف 1943 ، وهاريس 1952 وهرتمان1964**»[2] .

كما أنّ **البحيري** أشار إلى أن **فيانرش 1966** حرص على أن يقدم نهجا جديدا في معالجة النّص. و منهجه هذا اعتبر منهجا بديلا للمنهج المستخدم باستمرار في كل مراحل الدراسة اللّغوية في تحليل الجمل[3].

---

[1] إلا أنّنا نزعم أن منهج لسانيات النص قامت عليه جل الدراسات العربية القديمة ، وخاصة عند البلاغيين، والمفسرين والأصوليين.

[2] روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر:تمّام حسّان، عالم الكتب – القاهرة ، ط1، 1998م، ص 165.

[3] ينظر: حسن بحيري ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، الشركة المصرية لونجمان، الجيزة، مكتبة لبنان ناشرون بيروت ، ط1، 1997م ، ص 191، 194.

لكن هذه المحاولات بقيت مجرّد تنظيرات بعيدة على أرض التّطبيق، إذ أنّ الاهتمام بالوحدات الصّغرى في التّحليلات اللّغوية ظلّ مهيمنا على الدّراسات اللّسانية ، وهذا ما ذهب إليه **دي بوجراند** [1]. وفي المرحلة الثانية 1968 تلاقت آراء طائفة من اللّسانيّين حول فكرة لسانيات ما وراء الجملة، على الرغم من اختلاف توجهاتهم واستقلال بعضهم عن البعض [2]. ومن بين هؤلاء **إيزنيرغ** الذي اعتنى بالبحث في العوامل المتحكّمة في خيارات صاحب النّص، ومن أبرزها تلك العوامل في نظره المجاورة التي تظمّ مجموعة من الأدوات التي تنظّم علاقات الجمل بعضها ببعض كالضمائر و حروف التعريف ... والاقتران بعلائق سببية أو غائية أو علاقات أخرى[3] .

و**هارفيج** الذي قدم نموذجا استبداليا، تتحرّك فيه عناصر الاستبدال على المستوى الأفقي وغلب عليه إدراك النّص إدراكا وظيفيّا، ثم أدخل فيما بعد جوانب نصيّة كبرى للوصول إلى العلاقات الدلاليّة [4] .

وفانديك قدّم عدّة نماذج نصيّة ، ونظرات مختلفة وصفها وقام بتفسيرها ، وقد اعتمد في نماذجه على: عناصر لغوية وأدخل فيها مكونات نفسيّة ومنطقيّة دلاليّة واتصالية تداوليّة إلى جانب المكونات التّحويليّة و الدّلاليّة التّداوليّة[5] .

---

[1] ينظر: النص والخطاب والإجراء ، ص65.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص65.

[3] ينظر: إبراهيم خليل ، في اللسانيات ونحو النص ، دار المسيرة عمان ، الأردن، ط1 ، 2007م ص187.

[4] ينظر: علم لغة النص ، ص94.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص94.

وإذا أحدثنا مقارنة بين هذه المحاولات الثلاث وجدنا محاولة **فاندايك** هي: المحاولة الفاعلة لأنه يسعى إلي التّعديل في النّماذج الموجّهة للدّراسة النّصية لاستيعاب عدد أكبر من النّصوص كما أن محاولة **إيزنيرخ** شكّلت مفهوما واسعا حول الأدوات المتحكّمة في اتّساق النّص كالضّمائر وحروف التعريف ...

والملاحظ على هذه المرحلة أنها ركّزت على المفاهيم الأساسية لنحو الجملة دون الوصول إلى استكناه المفاهيم النّصية والقواعد التّأسيسيّة له وكان الاتجاه السائد، كما قال **ديبوجراند** : «هو النظر إلى النص من حيث هو جمل متوالية »[1].

وتعد سنة 1972 نقطة انعطاف للتأسيس لنظرية لسانية جديدة تقوم على الدّعائم الأساسية للنّصانيّة مؤذنةً بميلاد مرحلة جديدة من مراحل البحث النّصي، ألا وهي مرحلة التكون والإجراء.

وبدأت بما قدّمه **بيتوفي** من محاولات متميزة لها سماتها الخاصة، والتي استقرأ عناصرها من المنطق والنّحو التّحويلي ومكونات أخرى دلاليّة و تداوليّة[2].

وتبعت هذه الإسهامات أعمال **دريسلر** 1973م **وشميدت** ، إلا أن العمل الذي قدّمه **هاليداي** و **رقية حسن** من خلال مؤلفهما (الاتّساق في الانجليزية) هو بمثابة الرّكن الرّكين في مجال الاتّساقات النّصية .

ومنذ هذه الدّراسة إلا والإشارات بيّنة و واضحة حول المفهوم النّصي الذي سلك مسلكه التّكويني عبر المراحل المذكورة آنفا .ولذلك نؤكد على الدراسة المنتهجة في نحو النص ليست وليدة

---

[1] النص والخطاب والإجراء، ص65،66.

[2] علم لغة النص، ص95 ، 96.

أفكار باحث أو باحثين، وإنّما هي وليدة مجهودات طويلة و شاقة اتخذت من نحو الجملة سندا لها .

وإذا عدنا إلى الدّراسات العربية الحديثة في لسانيات النّص، وذلك حسب أهميتها وجدنا **محمد خطابي** من خلال مؤلّفه (لسانيات النص – مدخل إلى انسجام الخطاب–) ، قد قام في هذا المؤلف بدراسة انسجام الخطاب عند البلاغيين أمثال **الجاحظ** (ت 255 هـ) و **عبد القاهر الجرجاني** (ت 474 هـ) و **حازم القرطاجني** (ت 685 هـ) ، وذلك وفقا للمصطلح السائد عندهم ، وقام كذلك بإعطاء مؤشرات لدراسة النّص وتحليله ، وهذا بما تفرضه معطيات العربيّة من وسائل اتساقيّة، وكذلك من المؤلفات (علم لغة النّص) **لسعيد حسن بحيري** وكتابه (دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنيّة و الدّلالة)، وتعتبر محاولاته في مجال النّصانية محاولات جادّة، خاصّة وأنه قد تعرض في مؤلفه الثاني للاتّساق في النّص القرآني وتناول الإحالة بالضمير ودورها في تحقيق الاتساق .

ومن المؤلفات كذلك (نسيج النص) لصاحبه **الأزهر الزّناد** وهو مرجع ذو أهميّة ، من خلاله قد أظهر صاحبة روابط النّص الدّاخلية والتي تجعله كوحدة بنائية متّسعة ومن هذه الرّوابط التّركيبية (قواعدها ومعانيها)، وتحوي الرّبط بين الجمل كالرّبط بالأداة ودوره في النّص والرّبط الخطّي المتّصل والتّتابع ، كما تطرّق إلى الرّوابط الزّمانيّة في النّصوص والرّوابط الإحالية .

هذه تعتبر أهمّ المراجع العربيّة الحديثة في لسانيات النص بالإضافة إلى أبحاث مختصرة مبثوثة في بعض المجلات هنا وهناك .

وبالجملة فإنّ الدّراسات العربيّة الحديثة في مجال النّصية تبقى دراسات تابعة للدراسات الغربية.

وبما أن لسانيات النّص قد شغلت السّاحة اللّسانية في الآونة الأخيرة باعتباراتها النّابعة من المدلول السّياقي والتركيبي للنّصوص المختلفة والتي تتفاوت أهميتها من نصّ لآخر، تجعلنا أمام مكوّن تركيبيّ دلاليّ هو النّص القرآني بحجة أنه النّص الأوفر على الأدوات الاتّساقية و المعالم النّصية.

وإذا توجّهنا تلقاء من تناول النّص القرآني قديما سواء من المفسّرين أو اللّغويين وحتى الأصوليين وجدنا أن نظرتهم قد بدأت من كون اعتبارهم أن القرآن نص واحد لا يتجزأ ولا يمكن أن نفصل فيه آية عن أخرى أو نفصم فيه معنى عن آخر، وكأنه قد أفرغ إفراغا واحدا. فمما كتبه **البقاعيّ** (ت 885 هـ) أن **الإمام الأصبهاني** (ت 410 هـ) نقل عن الإمام الرازي (ت606هـ) قوله : «و من تأمّل في لطائف نظم هذه السّورة [يعني سورة البقرة] وفي بدائع ترتيبها علم أنّ القرآن،كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه و شرف معانيه فهو أيضا معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته » [1] .وقد قال **الزّركشي** عنه (ت 794 هـ): «فهو من تناسب ألفاظه وتناسق أغراضه قلادة ذات اتّساق »[2].

فالقرآن من خلال ما تجسّد في القولين ذو معان عالية و ألفاظ متناسبة مرتبة وأغراض متناسقة وآيات منتظمة يجلو من خلالها اتّساقه النّصي وانتظامه الفريد إلا وأنه يقصد بنظم القرآن طريقة

---

[1] برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة د ط، د ت ، 9/1 .

[2] الزركشي الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن، د ط، د ت ، 4/1.

تأليف حروفه وكلماته وجمله وسبكها مع أخواتها في قالب محكم ثم طريقة استعمال هذه التراكيب في الأغراض التي يتكلّم عنها للدّلالة على المعاني بأوضح عبارة وأدق أسلوب [1] .

ولئن كان علماء النّص قد وضعوا للنّص أدوات يعرف بها اتّساقه من عدمه فإن النّص القرآني نصّ فريد في اتّساقه محكم في ارتباطه وتجاور كلماته فإنّك لو زدت فيه ما ليس منه أخللت بالانتظام الذي ذهب بالألباب كل مذهب .

وممّا يجدر بنا ذكره في هذا المقام ما أحدثه علماؤنا الأوائل في باب المنسابة بين سور و آيات ومعاني الذّكر الحكيم، فعلى من أراد أن يتكلّم في اتّساق القرآن أن يعرف أ و أن يطالع علم المناسبة فيه، فهو علم رفيع المقام جليل الفائدة تعرف به علل التّرتيب والتماسك بين أجزاء القرآن وثمرته الاطّلاع على أسرار إيداع ذلك النّسق الذي شكلت به أجزاؤه بما تتيحه من ارتباط قبلي، وتعلق بعدي ,يستحيل إيجاد غيره فيه وهو سرّ البلاغة إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال وتتوقّف الإجادة فيه على معرفة مقصود السّورة وارتصاف جملها وانتظام المعاني على نحو لم يكن في غير القرآن مثله فلذلك كان هذا العلم في غاية النّفاسة وكانت نسبته من علم التفسير كنسبة علم البيان من النحو[2].

وعلاوة على ذلك فإن القرآن يحتوي على معالم اتّساقية مازال العقل البشريّ تائها في استجلائها فإضافة على ما جاء به علماء النّص من معالم تجلّت بلاغتها في النّص القرآني وانضوى سحرها فيه دون ما غيره من النّصوص فنجد أن له لحمة بادية من تجاور حروفه وكلماته وجمله وترابط معانيه

[1] عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة،ط 1، 1992م 177/1.
[2] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 6/1.

تجعلنا بذلك موقنين بأن للقرآن وسائله الاتساقية الخاصة به والتي لا يشترك مع بقية النصوص فيها إذ إن البنية النصية لنظام القرآن جعلت منه نصا متولد المعاني لتعدد دلالاته اللّغوية .

ومن هنا كانت التّفاسير – اللّغوية منها خاصّة – عبر امتدادها التّاريخي الطّويل ترتشف من هذا المنبع المتعدّد المشارب لتُوصلنا إلى معنى ساحر لم يظهر إلا بعد أوان .

الفصل الأول

الإحالة مفهومها وموقعها من

التواصل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مفهوم الإحالة : تتضمن الإحالة مفهومين:

المفهوم اللغوي :

الإحالة مصدر الفعل (أحال) الذي يدلّ على التّحول ونقل الشيء إلى شيء آخر، نقول أحلت الكتاب عن مكانه أي : حولت الكتاب عن مكانه .

وفي تاج العروس أحال الشّيء : تحوّل من حال إلى حال أو أحال الرجل: تحوّل من شيء إلى شيء[1]، وفي القاموس المحيط حال الشّيء و أحال : تحول[2] .

وفي الحديث من أحال دخل الجنة يريد من أسلم، لأنه تحوّل من الكفر إلى الإسلام، وورد في المعجم الوسيط[3]، أحالت الدار أي: تغيّرت وحال الشّيء أو الرّجل تغيّر من حال إلى حال وأحاله نقل الشّيء إلى غيره .

إذاً: فأغلب المعاجم متفقة على معنى واحد للإحالة هو التّغير أو التّحول .

و**التّغير والتّحول** معنيان ليسا بعيدين عن المعنى الدّلالي للإحالة النّصية؛ لأن الإحالة في العرف اللّساني تدلّ على العلاقة القائمة بين معنى وآخر، أو بين تركيب وآخر... فاللّفظ المحيل هو الذي يحيلنا على المعنى الدّلالي لذات اللّفظ أو إ لى ما أحال إليه (محيلُه) وهذا ما يدلّ على التّغير أو التّحول عنِ الجهة .

---

[1] ينظر: الزّبيدي محمد مرتضي الحسيني، تاج العروس، المطبعة الخيرية مصر، ط1306هـ، مادّة (حول).

[2] ينظر: الفيروز آبادي مجد الدين، القاموس المحيط ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، ط1، 137هـ، 1952م.

[3] ينظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة المعجم الوسيط، ط1392هـ، 1972م.

أما **المفهوم الاصطلاحي** للإحالة فإنّه لم يتّفقْ على تعريف أكاديمي لها سوى ما نجده مبثوثا في الكتب التي عنيت باللسانيات النصية وهذا من محددات تقوم عليها هذه الأخيرة. و هناك من أعطى تعريفات تحتاج إلى الدقة العلمية في صياغتها.

وعدم الاتفاق على تعريف للإحالة راجع إلى :

أن الإحالة معنى قديم ترعرع في نحو الجملة ليصير أكثر تعقيدا بمجيء نحو النّص، و ذلك مما أضفاه نحو النّص من عناصر ومحدّدات تتمّ من خلالها الإحالة باعتبارها أهم عنصر من العناصر الاتساقية في النصوص .

وهذا لا يمنعنا من أن نسوق مختلف التّحديدات التي خُصّت بها الإحالة، محاولين أن نجمع بين هذه المحدّدات في تعريف مبسّط لها – إن شاء الله –.

أشار روبرت دي بوجراند في تعريفه للإحالة بأنها: «العلاقة بين العبارات من جهة، و بين الأشياء و المواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات »[1].

و يعرفها كلامايز بأنها: « العلاقة القائمة بين عنصر لغوي يطلق عليه (عنصر الإحالة) وضمائر يطلق عليها (صيغ الإحالة) »[2].

[1] روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 122.

[2] سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقيّة، ص82.

كما حددها تنيير بأنها ربط دلالي إضافي لا يطابقه أي ربط تركيبي [1]، وبإحداث إسقاط بين التعريفات الثلاثة السابقة يمكن تحديد مفهوم الإحالة بأنها: علاقة معنويّة بين ألفاظ وأسماء معيّنة وما تدل عليه من موجودات أو مسمّيات داخل النّصوص أو خارجها سواء كان ذلك في السّياق الخطي أو المقام الحضوري ، ولها محدّداتها التي تعرف بها منها الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة و أدوات المقارنة ... إلخ).

وإن كان اقتصارنا في مفهوم الإحالة على ما جاء به الدارسون الغرب فإن الباحثين العرب لم يحددوا مفهوما خاصا يزيل الضبابية عن مصطلح الإحالة.

ولعلّ **سعيد حسن بحيري** قدم مبررا بعدم اقتراح مفهوم للإحالة لئلّا نضع الدارس في دوامة عدم استقرار المصطلح ، وذهب إلى منطقية ماذهب إليه من عالج موضوع الإحالة من رجوعهم إلى مقولات اللغويين المتقدمين، حيث قال: «... اعتماد أصحاب هذا الاتجاه المتميز في معالجة ظاهرة الإحالة على مقولات اللغويين المتقدمين وذلك أمر منطقي يقتضيه التواصل المعرفي والاستمرارية لإيضاح الأفكار الجزئية وهو ما يبرر بل يحتم علينا الاعتماد على مقولات النحاة القدامى واستخلاص التصوّرات القيّمة فينشأ ما يشبه التواصل البحثي... » [2]. وهكذا يعتبر **بحيري** بضرورة الرجوع إلى الموروث اللغوي، باعتباره الكل الذي لا ينبغي الاستغناء عنه في إيضاح الجزء.

ومن الباحثين – كذلك – الذين تطرقوا لموضوع الإحالة **الأزهر الزّناد** في كتابه(نسيج النّص) حيث ذكر تحت عنصر مفهوم الإحالة أن هذه التّسمية تطلق على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة

---

[1] ينظر: المرجع السابق، ص82.

[2] المرجع نفسه، ص92.

بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب [1]، ثم عدّد أنواع الإحالة ليصير مفهومها أكثر جلاء باستقصائه أنواعها.

وربما عدول الأزهر الزناد عن إعطاء مفهوم شامل ودقيق للإحالة هوكثرة تشعّبها وسعة موضوعها واختلاف حدوثها من نص لآخر، حتى ربما أن الإحالة ترد من اللانص ، فكما أنّها تتشكل من التّتابع الخطي للكلمات والعبارات داخل النّصوص المختلفة فكذلك نلمحها من الحواس الأخرى التي لها لغتها الخاصة بها.

قال الشاعر:

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعور ولم تتكلم

فأيقنت أن القلب قد قال مرحبا وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم [2]

فهناك عدول الحبيبة عن الكلام والاكتفاء بالإشارة قد يكون هنا أكثر إيحاء من استعمال آلية التلفظ التي تختلف درجة بلاغتها من شخص لآخر، وبذلك تكون الإحالة في اللاملفوظ أقوى

منها في الملفوظ. و قال الشاعر:

وعين الفتى تبدي الذي في ضميره وتعرف بالنّجوى الحديث المغمّسا[1]

[1] ينظر الأزهر الزّناد، نسيج النص، المركز الثقافي العربي، ط1، 1993، ص121.

[2] القائل مجهول.

و قال الآخر:

العين تبدي الذي في نفس صاحبها من المحبة أو بغض إذا كانا

والعين تنطق و الأفواه صامتة حتى ترى من ضمير القلب تبيانا [2]

إذن فالمستنبط من هذه الأبيات أنّ العين هي التي تكون سابقة النظر، و أسرع في إيصال الرسالة للمتلقي من الكلام المنطوق، لذلك فهي تحيل على أشياء موجودة في ضمير القلب دون أن ينطق اللّسان بها ومن هذا يصبح للإحالة الحسيّة السّبق في إيراد المعنى المراد دون ملفوظ لصاحب الرسالة.

ومن هنا نجد أن الجاحظ (ت 255 هـ) قد أبان في معرض حديثه عن الإشارة على أنّها أبعد مبلغا من الصوّت، و لذلك سمّى بابا تتقدّم فيه الإشارة الصوت [3].

والصّوت كما يقول **الجاحظ**: «هو آلة اللّفظ و الجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللّسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلّا بظهور الصّوت، ولا تكون الحروف كلاما إلّا بالتّقطيع والتّأليف وحسن الإشارة باليد والرّأس من تمام حسن البيان باللّسان» [4].

من خلال كلام **الجاحظ** يتبيّن لنا أن ما يحدثه اللّسان من صوت وحسن بيان يتألّف من خلاله ذلك المجهول الذي يحزّ نفسَ المرسِل، فكذلك يحدث بهذا بيان الإشارة بيد ورأس وغيرهما.

---

[1] أبو عثمان عمر بن بحر بن الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي،ط 7، 1998م 78/1.

[2] ينظر: المصدر نفسه، 79/1.

[3] ينظر:المصدر نفسه، 79/1.

[4] المصدر نفسه، 79/1.

ومع هذا الذي يجعل موضوع الإحالة موضوعا متشعبا يتصل بين موضعين يقوم بينهما التّواصل الإنساني [1]. يوصلنا إلى الإشكال الذي لقيه الدّارسون النّصانيّون في ضبط المصطلح واستقصاء جميع حدوده.

2/إشكالية الإحالة بين التّسمية و الوقوع :

لا شكّ أنّ مصطلح الإحالة لم يلد هكذا جزافا دون عقد إطلاق التّسمية على المسمّى فما هو مأثور في الدّراسات اللغوية القديمة أنّ هذه التّسمية كانت لا تدل على المسمّى المتداول لها اليوم وإنّما استعملت للأمر المستحيل الوقوع، ومنه أورد سيبويه في كتابه بابا سمّاه باب (الاستقامة من الكلام و الإحالة) [2]، حيث قصد بالإحالة الأمر المستحيل الوقوع ، إذ أعقب هذا الباب بقوله: « فالكلام مستقيم حسن ، و محال، ومستقيم كذب، و مستقيم قبيح، و ما هو محال كذب »[3]، ومثّل للمحال بـ: أتيتك غدا. وهذا تركيب خاطئ في إسناده، لا يستقيم معناه، ومنه يكون مستحيل الوقوع، لذلك فإن الإحالة دلّت ههنا على معنى خاطئ وتركيب شاذ .

ومما هو جدير بالذّكر أنّ الإحالة التي دلّ بها على الدّلالة التعاقبيّة للمسميّات أوالمعاني المحيلة على بعضها البعض عند أئمّتنا الأوائل كانت رديفة مصطلحات منها :العود، والمفسّر، والمرجع وهي

---

[1] أعني به الملفوظ وما وراء الملفوظ.

[2] ينظر: سيبويه أبو عثمان عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، دط، دت، 25/1.

[3] المصدر نفسه، 25/1.

مصطلحات أريد بها خاصيّة الضمير في إعطاء الدّلالة المترتّبة عنه وذلك لتضمّنِه معنى المحال إليه في ذاته من خلال السّياق الخطّي والمقام الحضوري .

وإذا أحدثنا مقارنة بين مصطلحات النّحاة القدماء وبين مصطلح الإحالة نجد أنّ: مصطلح الإحالة هو المصطلح الأمثل في حمل الدّلالات الجديدة التي اتخذت النّص من جميع سياقاته منبعا لها.

كما أن مصطلح المفسّر هو المصطلح الأقرب لهذه الدّلالة فهو من الفعل فسّر بمعنى الإيضاح والتبيّين، والفِسر : البيان وكشف المغطّى [1] .

والذي عليه الأمر أنّ مفسر الضّمير يكشف المعنى للمتلقّي في المقام والسّياق معا ، وهذا الذي يثبته ابن هشام بقوله : « لا بد للضّمير من مفسّر يبيّن ما يراد به فإنْ كان لمتكلّم أو مخاطِب فمفسّره حضور من هو له ، وإن كان لغائب فمفسّره نوعان، لفظ وغيره» [2] فقوله: (حضور من هو له) يقتضي وجود مقام حضوريّ يبيّن تفسير الضّمير في الملفوظ سواء كان في نصّ مكتوب أو في حوار بين أشخاص، لذلك فإنّ المعنى الإضافي للإحالة غير موجود في التّسميات القديمة لها لأنّها تدل على معنى الإشارة، وللإشارة معنى تواصليّ، قد تكون فيه أبلغ من الخطاب .كما أشرنا لقول **الجاحظ** من ذي قبل . .

3/السياقات التي ترد فيها الإحالة :

أ–السياق النصي :

---

[1] ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 2001 ص3.

[2] ابن هشام ، شرح شذوذ الذهب ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد،دط،دت، ص 169.

يؤدي تعاقب الجمل في النصوص إلى خلق القيمة الفنّية التي من خلالها يجري تتابع الجمل و تلاحم العبارات وتضافر البُنى الدلاليّة والنحويّة، فالنّص هرم من المتتاليات المتعاقبة يخدم بعضُها بعضًا وهذا ابتداءً من تركيب البنية الصّرفية للألفاظ إلى البنية الإحاليّة ، التي يرتبط فيها أول تركيب في النّص بآخر تركيب (وهذا ما يدخل في مناسبة القول)، فباعتبا ر هذه البُنَى يجري النّظم الذي تكلّم عنه علماؤنا الأوائل في حقب من الزمن .

والصّفات التي نجدها في نصّ ما لا يمكن أن تتوافر بنفس الوتيرة في نصّ آخر، وإنّما تكون بدرجة أقلّ أو أكثر وبطريقة تفوقها في نصٍّ آخر، و إنما تكون بدرجة أقل أو أكثر وبطريقة تفوق صاحبتها في النّظم لدى أديب آخر .كذلك . لأنّ مستعملَ اللّغة قد يملك من المهارات ما لا نجده عند غيره، ويتقن من الأساليب التعبيريّة ما لا يخطر ببال سواه .

ولإيضاح الأسس الخاصّة التي تنبني عليها النّصوص لا بدّ من تدقيق الملاحظة وإجراء فحص مستمرّ يقوم على الاستقراء التّام للكشف عن أنماط مثاليّة وعدم الاكتفاء بالعلامات السّطحية التي تسير بالنّص في رتابةٍ غير محببةٍ .

ولعل علماء اللغة المحدثين كانوا على وعيٍ عندما أدركوا هذه المقاييس التي تقوم على إثرها قِوامة النّص وهذا باستقصائهم إيّاها من التّراث اللّغوي القديم، الذي لطالما عنيَ علماؤه بالدّراسات النّصية، خاصة فيما يتعلق بالقرآن الكريم منها.

ومن أبرز الأسباب التي تجعل النّص متّسق المعاني ، منسجم الدّلالات إدراك البنية الإحاليّة في العبارات والجمل والكلمات على السّواء مع ما تعبّر عليه في العالم الخارجي من مسمّيات تحيل المتلقي بدلالة الدّال على المدلول دون تشويشٍ أو تيْهٍ داخل أطراف النّص .

فكل **مكوّن** من مكوناته يمثل معلما أو نقطة تتقدّم بها الأحداث إن كان حدثا، وتتعدد بها الذّوات إن تكن ذاتا...إلخ .وهي يمكن العودة إليها عن طريق الإحالة، وبالقياس عليها يجري ترتيب عالم الخطاب وبناء النص بالاستتباع [1]. فانسجام النص ووحدته منوط بتشاكل عناصر الخطاب وفقا للرّوابط التي تعمل على تعليق أجزاء الكلام بعضها ببعض، كما أنها تمدّ جسورا لترتيب المعاني لدى المتلقي .

والرّوابط الإحالية تعمل عملا كبيرا في توظيف هذه المعاني التي لا وجود للنص دونها؛ لأنها تعمل عمل السّلك الذي يصل حبّات العقد مع بعضها البعض بتجانس جذّاب، لذلك فإن النّحاة درسوها من خلال الضّمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وعناصر معجميّة أخرى في مواضع متفرقة كما كانت للمفسّرين إضافات ملحوظة إلى المقولات النّظرية في مواضع عدة من تفسيراتهم للنص القرآني .

«وقد تَركز البحث على مستوى واحد، هو النص القرآني إذ أتاح شيوع هذه الرّوابط وتعدد دلالاتها وبروز دورها في تحقيق الترابط بين أجزاء النص القرآني، إمكان دراستها في سياقات متباينة و

[1] ينظر: نسيج النص، ص42، 43.

في أبنية مختلفة في إطار القران الكريم وحده دون التّوسع في معالجة الربط في نصوص أخرى »[1].

ب/ سياق الجملة :

إن تولد البنية الإحالية في النص جعل من الجملة أساسا من المنظور اللّساني لها، فالجملة باعتبارها الجزء الذي لا يتجزأ من النص لأنها تحمل الدلالات الجزئية لتصير بتراكمها مكونة الدلالة المركزية التي تأسس عليها النص و بهذا الاعتبار:

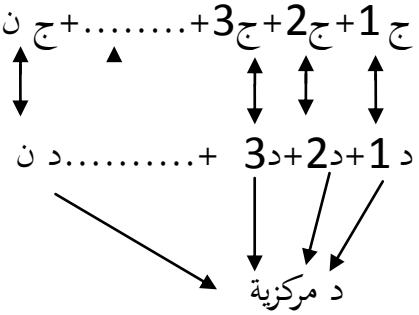

فمن اجتماع دلالات الجملة تظهر الدلالة المركزية المشتملة على هذه الدلالات التي تأسست في أكناف الجمل المتعاقبة، وبمحتوى الجملة الأولى تأتي الجمل اللاحقة وفق تسلسل منطقي لها.

ولئن كان النص هو المدار التأسيسي لعلم اللغة الحديث، فإن الذي عليه الأمر أن الجملة هي حلقته التي لا وجود للنص دونها .

[1] سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقية ، ص80.

وعليه فمراعاة البنيّة التركيبية لهذه الأخيرة يمنحها أكثر فاعليّة في التّواصل الإنساني، سواء داخل النّص أوخارجه .

وبما أنّ الجملة المنطوقة أريدَ بها معنى ما، لأجل أن المتكلم أرسل رسالة لسامعه ، يريد أن يخبره فيها بشيء ما، فلنتصور شخصين يسيران في سيارة معا حيث :

قال الأول للثاني مندهشا: الجوّ جميل !.

فيقول الثاني للأول : بلى، والله إنّه لجميل !.

ثم يقول الأول للثاني : أرأيت كيف أن الحدائق زاهية ؟!

فيجيبه الثاني : . سبحان الله . إن رحمة ربّنا لواسعة !

فيردّ الأول : إنها لكذلك ، ونعمه علينا كثيرة لا تعدّ ولا تحصى .

فإذا تأمّلنا هذا الحوار وجدنا أنّ النص تشكّل في بداية الأمر من جملة بسيطة متكوّنة من مسند ومسند إليه: (الجو جميل)، فيأتي التركيب الثاني مكوّنا من جملتين بسيطتين :

الجملة 1: (بلى و الله) .

و **الجملة 2**: (إنّه لجميل) .

والجملتان جاءتا لتأكيد خبر جملة (الجوّ جميل) وتعلّق الجمل مع بعضها ظاهر، لا غبار عليه فعندما قال الشخص الثاني: (بلى والله) فهذا دل على تأكيد الخبر الأول، وإنّما أراد بالجملة الثّانية (إنّه لجميل) للزّيادة في التّأكيد والضّمير في (إنّه) زاد في اتّساق الجُمل .

ثم يأتي التّركيب الثالث مؤسّسا على . ما سبق .، حيث قال الأول : (أرأيت كيف أن الحدائق زاهية ؟!).

واقتضت هذه الجملة أن تكون أطولا من الأولى لتفعيل الحوار، والتعلّق المعنويّ لهذه الجملة بما سبقها ظاهر فكون أنّ (الجو جميل) لزم أن تكون الحدائق زاهية ليأتي . التركيب الرابع . من أجل تقرير حقيقة أن :(رحمة الله . سبحانه و تعالى . واسعة) لكون أن هذا المشهد أثر من رحمة اللّه، و دليل على قدرته ليحدث ذلك المشهد دهشة في نفس صاحبنا الذي لم يكن يتأمل آيات الله لولا أن صاحبه قد ذكّره بها .

وكانت العبارة الأخيرة منتهى هذا التّحاور البسيط ونتيجته، وهي متصلة أشدّ الاتصال بما سبقها أيضا، فالهاء في (إنّها) أحالتنا إلى (رحمة الله)، وضمير الإشارة (كذلك) أكّد سعة رحمة الخالق والهاء في (نعمه) أحالتنا إلى الله . سبحانه وتعالى . و(نا) في (علينا) أحالتنا على ذاتيْ المتحاورين مع جواز إحالتِها على كل مخلوق من مخلوقات الله تعالى .

فكل هذه الضمائر قد أسهمت إسهاما كبيرا في ربط أجزاء الخطاب وسبكه مع بعضه البعض، كما زادت في اتّساقه وانسجامه .

ولو زدنا التأمل في معاني النص السابق للاحظنا أنّها تتطور وتتّخذ مجرى السّلمية دون إهمالٍ لتساوق المعاني بعض وراء بعض، فيتولد المعنى التصاعدي الذي يقوم على بنية الجمل :

حيث (م)تعني: معنى

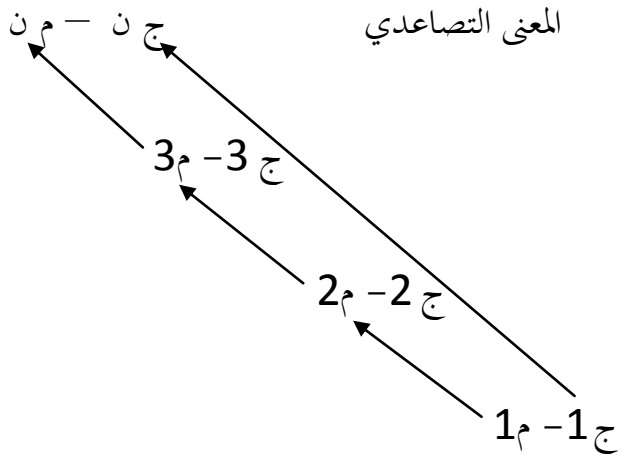

أما كون الجملة منفردة خارجة عن نطاقها النصي فالبنية الإحالية تفهم من خلال:

ب1/ السياق الخطّي :

وهو الذي ترد فيه الجملة كقولنا مثلا: علي مات أبوه. فالمخبَر عنه هنا هو (موت الأب). والهاء عائدة إلى (علي).

فنفهم من خلال السياق أن: (أبو علي هو الذي مات) .

ب2/ المقام الحضوري :

لا شك أنّ المقام يلعب دورا أساسيّا في عملية التّخاطب، ولذلك فالكلام تابع له وخارج منه، فلا نستطيع أن نفصل نصّا ما عن مقامه الذي قيل فيه.

قال رسول ـ الله صلى الله عليه وسلم ـ: «التّقوى ها هنا» فمن خلال المقام يتّضح معنى هذه العبارة، ألا وهي أن التقوى في القلب؛ لأنّ النبيّ ـ عليه الصلاة و السلام ـ قد أشار إلى صدره الشّريف.

وفي قوله ـ صلى الله عليه و سلم ـ: «كفّ عنك هذا»، لن نستطيع أن نفهم هذه العبارة إلا بمقامها الذي وردت فيه؛ حيث يخبرنا راوي الحديث سعد ابن معاذ –رضي الله عنه– فيقول: «أخذ بلسانه» [1]، وقال : «كف عنك هذا ».

ومنه فإن المقام يلعب دورا متميّزا في تفسير الظّواهر اللّغوية المبهمة من خلال سياقها الخطيّ وفي تفسير البنية الإحالية.

ب3/ المعرفة الذهنية :

وهي العلم بحال الخطاب والمخاطبين قبل حصول الخطاب وبعده ليتمّ الفهم، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ ﴾[2]، أحالت الكاف في (أعطيناك) إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ، لأنّا نعلم أن الخطاب موجّه له، وهو من أعطاه ربُّه نهر الكوثر، ومثله كثير في القرآن.

---

[1] يعني الرسول صلى الله عليه وسلم.

[2] سورة الكوثر:الآية[1].

ج/ بنية الكلمة :

تأتي الكلمات عادة للتّعبير عن معنى معيّن تختصّ به كلمة دون أختها، فيندفع الإبهام بمجرد مجيء الكلمة ببنية مخصّصة، والبنية إطار ذهني مفرد وليست هي الكلمة ذات المعنى المفرط [1].

وعلينا أن نفرّق بين الكلمات التي تحمل معنى في ذاتها والتي لا تحمل معنى إلا من خلال التّركيب الذي ترد فيه[2]، ومع كون أنّ الكلمة تحمل معنى الإحالة فمقصودنا الكلمات التي لها استقلال في المعنى .

وعد تمّام حسان المناسبة المعجمية من عناصر التّضام،«فالمعروف في نظام المعجم أنّ للكلم أقساما يمتاز كل قسم منها عما عداه بواسطة علامات ووظائف محدّدة وأن الكلام يبنى على استعمال مفردات هذه الأقسام بوضعها في تتابع لا بد فيه من شروط سياقية وتركيبية معينة، من هذه الشروط أن يكون بين عناصر الجملة مناسبة من حيث معناها المعجمي، ومعنى ذلك أنّ كل قسم من أقسام يشتمل على ألفاظ تتوزّعها حقول معجميّة مختلفة يضمّ كل منها طائفة من الألفاظ المفردة ذات الشّركة في الطّابع العام للمعنى تختلف في هذا الطابع عن كل طائفة أخرى» [3].

ومع هذا فإنّ ورود لفظة ما في سياق معين، يجعلها الأحق في مجاورة صاحباتها؛ لأنّها تؤدي المعنى المراد الذي لم يجز معه ورود غيرها، وهذا من الأبواب العجيبة في القرآن العظيم، بحيث نجد ألفاظا قد جاءت بتركيب مخصوص لتأديّتها معنى مخصوص، له اتصال بما بعده، أو بما قبله داخل النص

---

[1] ينظر: تمّام حسّان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب ، القاهرة، ط1، 1993م ، ص17.

[2] ينظر: تقسيمات النّحاة للكلمة.

[3] تمّام حسّان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة ط1، 2007م، ص50.

القرآني، قال تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾[1] جاءت لفظة (يصطرخون) مبيّنة للمعنى الذي قبلها، حين صوّر لنا الخالق حال الكفار داخل جهنّم، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾[2]. فأحالت هذه اللفظة عما كان من حال الكفار داخل جهنّم.

كما أن بناء(يصطرخون) جاء فريدا:

ص ر خ ← يصرخون ← يصطرخون

وهذا للدلالة على الشّدة في الصّراخ بسبب الخوف والفزع الذي أصاب الكفار[3].

قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[4]، جاءت لفظة (بأيديهم) لتأكيد وقوع الكتابة[5].

فلو قيل: (فويل للذين يكتبون الكتاب ثم يقولون ...) لتُوُهِّم أنّهم لم يكتبوا وإنّما يكون النّهي عن الكتابة، فبإيراد هذه اللّفظة في هذا الموضع دفع هذا التوهم، وأحالتنا هذه اللفظة على أن الكتابة وقعت –والله أعلم– ومثال الإحالة بالكلمة المفردة كثير في القرآن الكريم أكثر مما يحصى.

د-السياق المقامي:

---

[1] سورة فاطر: الآية[37].

[2] السورة نفسها: الآية[36].

[3] ينظر: الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر، دط، 1984م ،318/2.

[4] سورة البقرة: الآية[79].

[5] ينظر: التحرير والتنوير,577/2.

جميع السياقات التي ترد فيها الإحالة خاضعة لسياق المقام الذي هو في الأساس زمرة الخطاب ومنبع منشأ الكلام وقديما قالت العرب: (لكل مقام مقال) لذلك فلا يمكن أن تتصور خطابا ما، دون وجود مقام يفعّله ويوضح مقصده، إلا أن ارتباط العنصر اللغوي داخل الخطاب بالعنصر غير اللغوي هو الذي يمنح تفسير الرابط الجامع بينهما، وهنا تنشأ الإحالة خارج اللغة، التي هي في تصور الزّناد إحالة عنصر لغوي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحب المتكلم، حيث يرتبط عنصر لغوي بالمقام ذاته، في تفاصيله أو مجمله، إذ يمثل كائنا أو مرجعا موجودا مستقلا بنفسه، ويمكن أن يحيل عليه المتكلم[1].

ومثال الإحالة التي ترد في المقام قوله تعالى: (قال بل فعله كبيرهم هذا) [2]. فاسم الإشارة(هذا) في هذه الآية الكريمة لا يفهم إلا بتحديد مراجع الكلمات الإحالية فيها، فاسم الإشارة يحيل إلى موجود خارجي يفسره المقام.

3/عناصر الإحالة :

إن الذي لا شك فيه أن أشكال التواصل الإنساني متعددة فمنها ما هو منطوق ومنها ما هو مكتوب ومنها ما هو ليس كذلك ولذلك فالإحالة تأخذ صورا شتى من أشكال التواصل الإنساني.

---

[1] نسيج النص : ص119.

[2] سورة الأنبياء : الآية[63].

والجدير بالذكر أن الاهتمام بالتواصل كان له بالغ الأثر في الدراسات اللسانية المعاصرة بعدما عني به علماء البلاغة في فترة من الزمن مضت وشاع ذلك عند أمثال إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني (ت 474 هـ)، ويعد سوسير أن التواصل لا يقتصر على استعمال المتكلم لعلامات اللغة الطبيعية فقط، بل يتجاوز ذلك إلى ما هو غير لفظي والتواصل ينبني على عنصرين أساسين وهما المتكلم والسامع حيث يتبادلان الوظائف و يصبح كل منهما في موضع الثاني بحس اقتضاء الحاجة إلى ذلك ومنه تنتج الرسالة والمتمثلة في الخبر المنقول بين المتكلم والسامع ويكون ذلك في سياق معين وسمه علماء البلاغة بالمقام أو مقتضى الحال؛ حيث قال صاحب مفتاح العلوم: «لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة فمقام الشكر يباين مقام الشّكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية وارتفاع شأن الكلام من باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحس مصادفة الكلام لما يليق به وهو ما نسميه مقتضى الحال»[1]. وحتى تتحقق عملية الإبلاغ التي هي الهدف من عملية التواصل لا بد من وجود شفرة بها يضمن المتكلم وصول رسالته إلى سامعه، وهي ما يتعارف عليه الطرفان من الكلام أوهي: «ما يتواضع عليه القوم من الكلام»[2].

إذا فكل هذه العناصر تتحقق بها عملية التواصل الذي تكتنفه وظيفة أساسية هي الإفهام .

و بعد ذكرنا عناصر التواصل نستطيع أن نستنتج العناصر التي تقوم عليها الإحالة فتفسيرها إما يكون داخل النص (الرسالة) أو خارجه (المقام).

---

[1] أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تح:نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1983م، ص168 ، 169.

[2] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1982 م، ص48.

1) المتكلم أو الكاتب :

وهو العنصر الأساسي الذي تجري به عملية التخاطب؛ إذ إن الخطاب يتشكل من بنيّات اللغة البشرية والمتكلم هو المخوّل له أن يصنع من هذه البنيات صيغا خطية لها دلالات كامنة في ذاته و«المتكلم من وقع الكلام من قصده وإرادته واعتقاده والذي يدل على ذلك أن أهل اللغة متى علموا واعتقدوا وقوع الكلام بحسب أحوال أحدنا وصفوه بأنه متكلم ومتى لم يعلموا ذلك أو يعتقدوه لم يصفوه»[1].

وحتى يعبر المتكلم عن معانيه النّفسية التي يريد أن يوصلها للمستمع يجب أن يتوافق فهمه للخطاب مع مستمعه لتتحقّق عملية التواصل وإلاّ يبقى الخطاب مبهما يحتمل من التأويلات مالا يستقيم مع مقاصده.

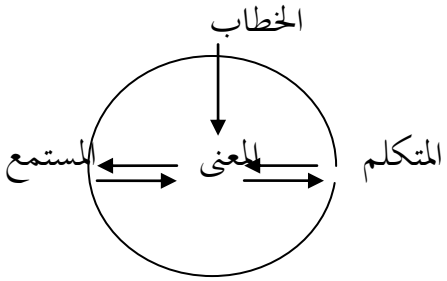

ومن الشروط التي وجب أن يراعيها المتكلم في خطابه أن تكون الإحالة واضحة الدلالة تتماشى وطبيعة اللغة التي يتكلّمها المتكلم ولذلك صار هو (واضع النّص) العنصر الأساسي في الإحالة.

[1] المصدر نفسه: ص44.

وعلينا أن نضع في الحسبان أن الذات المتكلّمة في النّص القرآني هو اللهُ . عزّوجلّ . ولذلك ففهم النّص يكون بواسطة المؤمَّن بالوحي محمد صلى الله عليه وسلم من طريق جبريل عليه السلام فإدراكنا لمرجع الإحالة في القرآن الكريم يتمّ من خلال مراعاة المعنى الذي يستنبط من الآية بالنقل أو العقل.

جبريل عليه السلام

محمد صلى الله عليه و سلم

بنو البشر

2-العنصر المحيل[1] :

لو سألنا عن تحديد موقع العنصر المحيل من دائرة التّواصل لحددنا موقعه في الرّسالة (النّص) إذ إن الرّسالة (الجانب الملموس في العمليّة التّخاطبيّة حيث تتجسّد عندها أفكار المرسل في صورة سمعيّة، لما يكون التّخاطب شفهيًّا)[2].

ومن هذا يظهر لنا أن الرّسالة إما أنّ تكون كلاما شفاهيًّا [3] أو إحائيًّا عن طريق الإشارة، وقد أشرنا –في ما سبق– إلى أهميّة الإشارة في التّواصل ولذلك فالعنصر المحيل يحتل موقعا بين المتكلم (الكاتب) والسّامع (المتلقّي) لأجل أنّ الرسالة تتطلب أن تكون متّسقة ينزل فيها المعنى دفعة واحدة ولا يتأخّر فيها عن اللّفظ، يقول عبد القاهر الجرجاني: «فإنك تتوخّى التّرتيب في المعاني وتعمل

[1] يسمّيه بعض الدارسين (اللفظ المحيل) ونؤثر أن نسميه (العنصر المحيل) فهو إما أن يكون لفظا أو غيره من عناصر التواصل.

[2] الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، منشورات الاختلاق، ط1، 2007م،ص27.

[3] وقد تكون الرسالة نصا مكتوبا.

الفكر هناك فإذا تمّ لك ذلك أتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارها، وإنّك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ بل تجدها تترتّب لك بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها والعلم بمواقع المعاني في النّفس علم بمواضع الألفاظ الدالة عليها في النّطق »[1].

وعلى هذا يصير اللّفظ خادم للمعنى ولا ينصرف عنه إذ إنّه لا يصحّ أن يجتمع المعنيان في مدلول اللفظ الواحد فقد أكد علماء البلاغة الأوائل على أن يكون اللفظ مطابقا للمعنى و من هنا وجب أن يزال اللّبس باقتران اللفظ بالمعنى المخصوص المستقرّ في نفس المتكلم.

من هذا البسط يتبين لنا أن المعنى ذو أهمية قصوى تتركّز عليه العمليّة التّخاطبيّة ولذلك فينبغي أن يكون العنصر المحيل في النّص نابع من فقه المتكلم للّغة، وإلاّ يبقى كلامُه مفرغا من محتواه لا يلحق أوّله بآخره .

والعنصر المحيل يحوّلنا داخل أجزاء النّص فتحال الألفاظ على بعضها البعض غير مفرغة من المعاني التي تحملها وإمّا تحيل على أشياء وموجودات خارج النّص داخلة في الوعي الإنساني .

وعلى هذا الأساس يستقر عندنا أن العنصر المحيل إما أن يكون لغويا أو غير لغويّ، و ذلك بحسب النّمط الذي يجري عليه التّخاطب .

3- المحال إليه:

قد يكون المحال إليه موجودا في النّص أو خارجه ويتمّ تفسيره من المتلقي (السّامع) وفقا لحضوره الذّهني داخل النّص متتبعا لمراد المتكلم ومقصده للوضع اللّفظي وهذا ما يدخل في مفهوم السّنن (

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح:عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان ، ط1، 2001م ، ص97.

الشّفرة) إذ هو الإطار الذي تتمّ فيه المراضعة بين شخصين أو أكثر أو هو الوعي بأشكال التّخاطب اللّغوي وغير اللّغوي بين المتخاطبين ليتم التّواصل بمفهومه الشّامل أو هو : «نسق القواعد المشتركة بين الباثّ والمتلقّي والذي بدونه لا يمكن للرسالة أن تفهم أو تؤول»[1].

ويعتبر السّنن «القانون المنظّم للقيم الإخبارية و الهرم التّسلسلي الذي ينظّم عبر نقاطه التقليديّة المشتركة بين المرسل و المرسل إليه كل نمط تركيبيّ فمنه ينطلق الباثّ عندما يرسل رسالة خطابيّة معيّنة حيث يعمل على الترميز»[2] .

ويعد التّواضع المعجميّ من أهم العناصر المساعدة على التّواصل بين المتخاطبين لأجل التباين الدّلالي الذي يحدث للّفظة الواحدة داخل البيئات المختلفة .

كما أنّه على مستوى النّص يجب استيعاب طرائق التعبير والعناصر المساعدة على فهم ما ترمي إليه الألفاظ منفردة ومجتمعة وهذا لا يتأتى إلا بمعرفة أشكال التّرابط النّحوي والأدوات النّاتجة عن هذا الترابط .

وإذا تمّ معرفة العناصر المذكورة آنفا، من المتلقّي (السّامع) فإنّه لا يجد صعوبة في تأويل المحال إليه من خلال العنصر المحيل .

4-التطابق بين العنصر المحيل و المحال إليه :

[1] عمر أوكان، اللغة و الخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، دت، ص49.

[2] المرجع نفسه، ص48.

حتى تكون الإحالة مقترنة بمسمّاها اللّساني لا بد من مراعاة العلاقة القائمة بين العنصر المحيل والمحال إليه، وكان لزاما أن تكون هذه العلاقة واضحة لتمنح السّامع اليقين التامّ من مراد المتكلم .

وعلى هذا فمنشئ الإحالة (المتكلم) وجب عليه مراعاة القيد الدّلالي الذي يمنح عنصر التّطابق لأن الإحالة علاقة دلاليّة ومن ثمّ لا تخضع لقيود نحوية، إلا أنها تخضع لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلاليّة بين العنصر المحيل والمحال إليه [1].

إلّا أن التّرابط المعنويّ بين العنصر المحيل والمحال إليه أو بين الألفاظ وما تحمله من دلالات تظهر علاقتها من انضمام الكلام بعضه إلى بعض، قد درسه النّحاة من خلال الإعراب؛ لأن هذا الأخير يقوم على أساس الفقه المعنويّ لدلالة اللفظ وعمله داخل الجملة أو النّص .

وبهذا لن نذهب مذهب محمد خطابي لأننا لا نستطيع أن ننكر القيد النّحوي الذي يحكم المتكلم و يجعله يضع لفظا موضع آخر لدلالة الثّاني على معنى لم يكن في الأوّل.

ولذلك فالإحالة يحكمها قيد دلالي نحوي، و لا يمكن أن ننكر القيد النحوي بحجة أن الإحالة في نظم الكلام لا تقوم إلا به، و قد كفانا علمائنا الأوائل عند تأسيسهم لنظرية النظم في شرح ما يترتّب عن تموقع الألفاظ بعضا وراء بعض وما تحمله من تغير للمعنى بتغير العلامات الإعرابية .

وظيفة الإحالة في إطار التواصل :

توطئة:

[1] محمد خطابي، لسانيات النص، الدار البيضاء، المغرب ، ط2، 2005م ، ص17.

أشرنا – في ما سبق – إلى أن الإحالة تأخذ صورا شتى من أشكال التّواصل الإنساني فهي تتوسّع بتوسّع الآليات التي يتمّ بها التّفاهم بين الأشخاص وتمثل المنظوم التّوافقي في التواصل الذي يجمع بين ثلاثة أقطاب مهمّة (المرسل والمرسل إليه والرسالة) .

واللغة هي المنبع الرئيسي للتّواصل يتمّ بواسطتها التعبير عن مكامن النّفس و أغراضها يعرفها ابن جني (ت 392 هـ) بقوله: «أما حدّها فأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»[1]، ومن هذا القول تظهر السّمة الجماعيّة للّغة فلا يمكن أن تتمّ إلا بتوفر عنصري التخاطب (المرسل والمرسل إليه) ووجود اللغة لديها شرط من شروط التواصل لذلك فالوعي بسمات الخطاب لدى الجماعة الواحدة أمر ضروري تتحقق به الوظائف التي لأجلها يستعمل المتحدث اللغة ومن هنا أصبح شرط الفصاحة و البلاغة عند علمائنا الأوائل أن يكون معنى الكلام ظاهرا وجليّا لا يحتاج إلى فكر في استخراجه لأن الكلام –في اعتقادهم– غير مقصود في نفسه وإنما احتيج ليعبر النّاس عن أغراضهم ويفهم المعاني التي في نفوسهم، ولما كان ذلك كذلك كان شرط الإفهام في الخطاب أمرا ضروريّا بين المتكلم و السامع وهذا ما يركز عليه أبو هلال العسكري بقوله _ في تعريف البلاغة _ : «البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السّامع فتمكّنه من نفسه كتمكّنه في نفسك مع صورة مقبولة و معرض حسن»[2] .

وحتى يتم هذا الذي ذهب إليه العسكري وجبت الدّراية بالأسس التي يقوم عليها التّخاطب والعلم بفنونه والتمرّس في مسالكه؛ لأن مفاد الأمر أن الكلام لا يفهم إلا من تعلّق بعضه ببعض

---

[1] أبو الفتح عثمان ابن جني ، الخصائص، تح:محمد علي النجار، دار الهدى، لبنان ، دط، 1952م ، 33/1.

[2] أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح :مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، القاهرة، ط1، 1981م ، ص19.

ولا يجري له معنى تطيب له النّفس وتتعلّق به الرّوح إلا إذا كانت ألفاظه متماسكة مع بعضها البعض كتماسك عيدان الحصير أو أشدّ .

ومن هذا الكلام ساق لنا إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني نظريّته في النّظم حتى أنه قال : «واعلم أنّك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشّك أنّ لا نظم في التكلّم ولا ترتيب حتى يعلّق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس» [1].

والمتأمل في هذا الكلام يستطيع أن يخلص إلى أن بناء الخطاب يتطلب علما مسبقا بالأدوات التي يتم وفقها تماسكه واتساقه، والإحالة هي الوسيلة الأساسية التي يتم من خلالها تعلق الكلام بعضها ببعض، وتجري بها الألفاظ داخل الخطاب لتوجد هذا التّعالق الذي يتم من خلاله توضع المعاني وترتّبها في ذهن المتلقّى حسب بنائها في الخطاب.

ومن هنا نستطيع أن نجمل وظائف الإحالة في ما يلي :

1/ الوظيفة النحوية :

ركز عبد القاهر الجرجاني عند تأسيسه لنظرية النّظم على الجانب النّحوي الذي يحكم الألفاظ ويجعلها سببا منه إذ إنه لا يمكن أن نفصل هذا الجانب عن النظم وهو قانونه وأساسه يقول عبد القاهر: «اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو وتعمل على قوانيه وأصوله فلا تخلُّ بشيء منها» [2].

---

[1] دلائل الإعجاز، ص87.

[2] المصدر نفسه، ص 113.

فالكلام لا يمكن أن تقوم له قائمة إلا إذا كانت تحكمه قوانين النحو فيخضع لأسراره وباعتبار أن الإحالة منبثقة عن الكلام فلا يمكن أن نفصلها عن النحو الذي هو قانون الكلام ودستوره وعماد الخطاب ونوره ومتى أخللت به غيّرت من المعنى الذي تريد أن توصله إلى سامعك لأن المعاني ما هي إلا بنيّات الألفاظ و وليداتها .

والإحالة بحكم أنها تجري مجرى المعاني فهي تابعة للّفظ ومستقرة عنده وكيف ما جاءت الألفاظ مألّفة التأليف الذي ارتضاه الكاتب أوالمتكلم لها صارت المعاني جارية مجراها ومتبعة آثارها.

إلا أنّ تفسير الألفاظ قد يتغيّر من شخص لآخر لأنّ طبيعة الفهم متفاوتة بين الأشخاص والمفكرين .

ولعل التّفاسير التي ظهرت من تاريخ نزول القرآن إلى يوم الناس هذا والأحكام المستنبطة من الآيات الكريمة قد وصفت لنا الدّور الذي يلعبه المتلقّي في استخراج الأحكام اعتمادا على حدّة ذكائه واتّساع ومرونة تفكيره.

وإذا كانت الإحالة لها وظيفة نحويّة، ذلك لأنها وسيلة للرّبط فلا يمكن أن يخلو منها نصّ من النّصوص وتعد الضّمائر الوسيلة الإحالية الأكثر انتشارا في الكلام فلا تكاد تظهر قاعدة نحوية إلا والضمير يشارك في الربط فيها إذ إنّ ابن هشام (ت 761هـ) قد أورد عشرة أبواب نحويّة يكون فيها الضّمير رابطا [1] .

1/ الجملة الواقعة خبرا :

[1] ينظر: ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تح: فيصل عيسى البابي، دط، د ت، 502/2، 510.

يرى النحاة أن الجملة الواقعة خبرا إن لم تكن مبتدأ في المعنى احتاجت إلى ضمير والسبب هوأن: «الجملة في الأصل كلام مستقل فإذا قصدت أن تجعلها جزء الكلام فلا بد من رابطة تربطها بالجزء الآخر وتلك الرّابطة هي الضّمير إذ هو الموضوع بمثل هذا الغرض »[1].

2 / الجملة الموصوف بها :

وهذه الجملة يربطها الضّمير إما مذكورا نحو قوله تعالى: ﴿حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ﴾[2] فالضّمير في نقرأه محيل على الكتاب وحتى يستقيم معنى هذه الآية الكريمة كان لزاما أن الضمير يربط المعنى الأول (تنزيل الكتاب) بالمعنى الثاني (القراءة)؛ إذ لا تتمّ القراءة إلا بتنزيل الكتاب.

وإما يكون الضمير مقدّرا مرفوعا كان أو منصوبا أو مجرورا نحو قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[3].

3/ الجملة الموصول بها الأسماء : وهذه الجملة أيضا تحتاج إلى ضمير يربطها بالموصل والضمير فيها إما مذكورا نحو قوله تعالى : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[4] أو مقدرا كقوله تعالى: ﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [5] .

عمل الضمير العائد في الصلة إنما لأجل أن يعلق الصلة بالموصول ويتمّمها به، إذ لا يتم الموصول إلا بصلته بكلام بعده تام ليصير اسما بإزاء مسمى [1]، «ولا يتمّ الاتصال بين الصلة والموصول إلا

---

[1] الرضي الاستراباذي، شرح الكافية، جامعة قاريوس، د ط ، 1978م ، 238/1.

[2] سورة الإسراء: الآية [93].

[3] سورة البقرة :الآية[48].

[4] سورة الزخرف:الآية[71].

[5] سورة المؤمنون:الآية[33].

بالرّابط (الضّمير) الذي يعود على الموصول؛ حيث لا بدّ في كل جملة من هذه الجمل من عائد يعود منها إلى الموصول وهوضمير ذلك الموصول ليربط الجملة بالموصول ويأذن بتعلّقها به ...فإذا أتيت فيها بما يتوقف فهمه على ما قبله أذن بتعلّقها به»[2].

4-الجملة الواقعة حالا:

إن هذه الجملة تحتاج إلى رابط يربها بصاحب الحال، والرابط في جملة الحال إما الواو والضمير معا أو أحدهما ومثاله قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ القِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[3] فجملة (وجوههم مسودة) حال من (الذين كذبوا) والضمير في (وجوههم) أحال إلى (الذين كذّبوا)، فأسهم هذا الضّمير بربط جملة الحال بمتعلقها ولولا وجود هذا الضّمير لما استقام معنى الآية ومراد الله سبحانه وتعالى .

ويشير ابن بعيش إلى أن الجملة الواقعة حالا لابد لها من رابط يربطها بما قبلها، ولا يجوز أن لا يؤتى برابط يربط الجملة بأول الكلام، فإن جيء به دل على أن الكلام معقود[4].

5-الجملة المفسرة لعامل الاسم المشتغلة :

عنه كما في قولنا : زيدا ضربته، أو زيدا ضربت أخاه، فالضمير في هذين المثالين يحيل إلى الاسم المتقدم (زيد).

---

[1] ينظر: أبو البركات كمال الدين عبد الرحمان بن محمد بن أبي سعيد، أسرار العربية، تح :محمد بهجة البيطار، المجمع العلمي العربي، دط، دت ، ص381.

[2] ابن يعيش، شرح المفصل، تح :إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2001م، 289/2.

[3] سورة الزمر : الآية [60].

[4] ينظر: شرح المفصل ، 24/2.

6. بدلا البعض و الاشتمال:

يحتاج هذان النوعان من البدل إلى الضمير العائد على المبدل منه، ويعمل الضمير هنا على ربط البدل بالمبدل منه و يعلقه به [1]، والضمير فيهما، إما أن يكون مذكورا نحو قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[2].

-أو يكون مقدرا: نحو قوله تعالى: ﴿ وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[3] والتقدير (من استطاع إليه سبيلا).

8-معمول الصّفة المشبّهة:

والضّمير الرابط إما أن يكون مذكورا كما في قولنا: زيد حسن وجهه، أو مقدّرا نحو: زيد حسن وجهًا، والتّقدير (حسن منه وجها).

9-جواب اسم الشرط المرفوع بالابتداء:

وهو مما يربطه الضمي، وسبب مجيء الضمير في جواب الشرط-كما يرى الرضي الاستراباذي- لأن جواب الشّرط هو الخبر في الحقيقة، والشّرط قيد فيه، فلا يعتبر الضمير إلا رابطا فيه، فقولك: زيد إن جاء فأكرمه، أولى من: فأكرم، وإن كان واقعا على غير المبتدأ من حيث المعنى، نحو: زيد إن جاءك فأكرمني، كفى الضمير في الشرط.[4]

---

[1] ينظر: أسرار العربية، ص298، 299، وشرح المفصل، 64/3.

[2] سورة المائدة:الآية[71].

[3] سورة آل عمران:الآية [97].

[4] ينظر: شرح الكافية، 96/4.

والضّمير هنا إمّا أن يكون مذكورا، نحو قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ﴾ [1] أو مقدرا، نحو قوله تعالى :﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الحَجِّ﴾[2] والتقدير (في حجه).

هذه مسائل ذكرها النحاة في مسألة ربط الضمير الإحالي للوظائف النحوية التي تستند إلى التركيب، و هناك مسائل أخرى لا يتّسع ذكرها في هذا المقام.

2/ الوظيفة البلاغية :

يعتبر اللسان الميزة الإنسانيّة العظمى التي ميّز الله سبحانه و تعالى خلقه بها، إذ إنه من أهم التّقنيات التّواصلية التي لا غنى للبشر عنها، قال الله عزّوجلّ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[3] فالتّبين في ظاهر الآية إنما يكون باللّسان، وما كان النّطق إلا للإبانة وبلوغ المقصد الذي يجري فيه الإفهام، وما أهميّة اللّسان عند العرب إلّا أنّها تكمن في الوصول إلى المعنى وتقريب المفهوم إلى المخاطب، لذا روى الجاحظ في تعريف البلاغة بأنها: «تصحيح الأقسام واختيار الكلام»[4] حتى يصل المعنى للمخاطب دون أيّ لبس وتشويش يجعل فكره يتأرجح بين هذه المعاني وتلك، وما البلاغة إلا أن تجعل كلامك في نفس سامعك بما هو بالمنزلة منك، وذلك بأيسر السّبل وأقرب المسالك.

---

[1] سورة المائدة:الآية [115].

[2] سورة البقرة: الآية[197].

[3] سورة إبراهيم :الآية[04].

[4] البيان و التبيين، 88/1 .

والبلاغة لا تكون من المتكلّم فقط بل: «ربّما البلاغة في الاستماع، فإنّ المخاطب إذ لم يحسن الاستماع، لم يقف على المعنى المؤدى إليه المخاطب والاستماع الحسن عون البليغ على إفهام المعنى»[1] والسّامع هو من يعطي الفرصة لمحدّثه كي يوصله المعنى الذي يجري لأجله التّخاطب، لأن «الكلام يتعلّق بالمعاني والفوائد بالمواضعة، لا شيء من أحواله، وهو قبل المواضعة، إذ لا اختصاص له، لذا جاز في الاسم الواحد أن تختلف مسمياته لاختلاف اللغات، و بعد وقوع التواضع، يحتاج إلى قصد المتكلم، واستعماله فيما قرّرته المواضعة »[2]، وهنا يستقرّ فهم الإحالة داخل الخطاب لأن السّامع لايستطيع أن يفسّر الإحالة إلا باستماعه الجيّد ووعيه بمضامين الخطاب، هذا إذا كان النّص مسموعا أما إن كان مكتوبا، فواجبٌ على المتلقّي أن يكون حاضر الذّهن واسع الفكر بحيث يتمكّن من استحضار مجاميع النّص حين تستدعي الضّرورة، لتفسير الألفاظ المحيلة وفهمها وفق ما أراد الكاتب لها.

إن الوعي بالنّص يتطلّب اهتمام المتلقّي بالعناصر المكوّنة له، والتي يتمّ من خلالها بيانه وفهمه، ويتّضح بها انسجامه وسبكه فلا ينبغي أن يغيب عن السامع (القارئ) توضع الألفاظ وإيحاءاتها والتّراكيب ونسجها والمعاني وصلاتها، لكي لايكتنف النّص الغموض ولاتعتوره مسالك يصعب الفهم دونها، فلا تتحقّق معها الأهداف التّواصلية و المقاصد المرجوة منه.

والاهتمام بالمتلقي يعد أمرا ضروريّا وشرطا أساسيا في العمليّة التواصليّة، ركز عليه علماء البلاغة تركيزا أكيدا فنجد الجاحظ يقول: «مدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقاتهم، والحمل عليهم على

---

[1] الصناعتين، ص25.

[2] سر الفصاحة، ص42، 43.

أقدار منازلهم »[1]. فلكل مستمع (قارئ) منزلته من النص وموقعه من الخطاب، فأنت تتكلّم من الصّغير فيكون كلامك أكثر إفصاحا فيه من الكبير، وتتكلم مع العالم فتتخيّر الألفاظ التي ترقى بفهمك وتتماشى مع معرفتك فتنسج قطعة من كلام تتشوّق نفسك إلى إعادتها بذلك التّركيب فلا تستطيع، وتكتب للصّغير فتنزل بأسلوبك إلى فهمه، وتتلكم للكبير المثقّف فترقى بأسلوبك إلى أعلى درجاته حتى يوافق فهمُ قارئك إلى ما تفهم أنت من نصّك... وهكذا يجري تواصلك مع الناس كلٌّ في مرتبته ومقامه الذي وجد فيه.

ومن هذا الذي بيناه تجري الإحالة كذلك، فالإحالة تتفاوت درجة حضورها في النص بقدر مراعاة المتكلم (الكاتب) إلى الطبقة التي يوجه لها الكلام (النص)، وبقدر العقول التي تتلقى عنه، ألا ترى أنك لو كتبت أو تكلّمت مع طفل صغير تحاشيت الألفاظ المحيلة أو قللت منها مخافة أن يقع الإبهام ؟ كما أن النص الخِطابيّ تتوافر فيه الإحالة بشكل ملفت لحاجة المتكلم (الكاتب)لإعادة الكلام والتبيين والتّوضيح وحاجته للأمر والنّهي والنّصح و الإرشاد وهلمّ جرّا من العناصر البلاغية التي تجعل النص من جميع جوانبه يؤثر في المتلقّي، وهذا ما نجده ماثلا في النص القرآني الذي هو أعذب النّصوص على الإطلاق.

إن حاجة الإحالة في النصوص تنطلق من الوحدة الاتّساقية التي نادى بها علماء النص، فلا يمكن أن نتصوّر نصًّا تغيب فيه العناصر الإحاليّة بل لا نكون مغالين، إذا قلنا أننا لا نطلق لفظ نص على متوالية جمل إذا كانت تخلوا منها الألفاظ المحيلة، وتفتقد فيها العناصر التي تجعله متماسك الأجزاء منحدر المعاني كانحدار الماء من سفاح الجبال.

[1] البيان والتبيين، 93/1.

كما أنّه لا يغيب علينا أن درجة توافر الإحالة تختلف من نصٍّ لآخر بحسب حاجة الكاتب لها وبحسب طبيعة النّص وموضوعه، إذ أنّ الكاتب تتجاذبه العناصر المحيلة وتتمطى بأرداف الألفاظ وجملها بين الفينة والأخرى باعتبار أن المعاني يجلب بعضها بعضا وتلبس أثواب بعض، حتى يجعلنا نشكّ بأنّ :هل يخلو لفظ من إحالة ؟.

وما تجدر الإشارة إليه هو أن معاني الإحالة لاتكتنفها ألفاظ داخل النّص فقط وإنّما «تمتد إلى شيء آخر خارج النص، مما يدلّ على وجود علاقات متشابكة بين اللّغة و المواقف الاجتماعيّة والثقافيّة العامّة»[1] . مما يؤكّد على أنّ النّص ذو علاقات داخلية وخارجية على المتلقي أن يدركها.

ولا ريب أنّ الإحالة تؤدّي إلى الاقتصاد اللّغوي من حيث إنّها تقلّل الألفاظ وترسل معاني لايدل معها اللّفظ الكثير، كأن نقول :(محمد خير من زيد في سمته ووقاره وعلمه وتواضعه وتفانيه ورهبته وتحمّله ووقوفه على حدود الله)، والأولى أن نقول محمد خير من زيد بجميع أخلاق ه وصفاته، فانظر إلى ما اقتصدت من ألفاظ وتعداد صفات. أحالت عليها عبارة (بجميع أخلاقه وصفاته).

أنواع الإحالة : للإحالة نوعان : إحالة نصية (داخلية) ، وإحالة مقامية (خارجية) وتنقسم النصية إلى قسمين : إحالة قبلية، وإحالة بعدية كما هو موضح بالمخطط التالي:

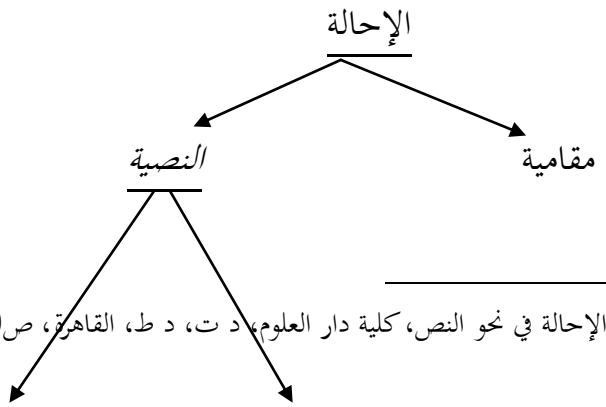

[1] أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، كلية دار العلوم، د ت، د ط، القاهرة، ص40.

قبلية (سبقية) بعدية(لِحاقية)

وفيما يلي تفصيل هذه الأنواع :

الإحالة النصية : وهي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ سابقة كانت أو لاحقة، بمعنى : «العلاقات الإحالية داخل النص سواء كانت بالرجوع إلى سابق أو بالإشارة إلى ما سوف يأتي داخل النص»[1] وهي نوعان :

1/ إحالة قبلية :

وهي استعمال عنصر لغوي، يشار به إلى كلمة أخرى، أو عبارة سابقة في النص، أوالمحادثة، وفيها يجري تعويض المفسر بما يحال إليه، مثال1 :(أنجز الطالب واجبه) فالضمير في (واجبه) أحال إلى الطالب المذكور، دون إعادة ذكره.

مثال2: وقد تكون الإحالة بإعادة الكلمة المقصودة دون إضمارها,وهذا كقولنا :(اشتدّ البرد، البرد قارس)، فكلمة(البرد) الثانية، هي نفسها الأولى، ولكن لم نضمرها بقولنا:(اشتد البرد، إنه قارس).

ب-الإحالة البعدية:

[1] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 ، 200م 40/1 .

وهي استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو مفهوم آخر يتحدد من خلال السياق وهذا الأمر نجده في الوظيفة التي يؤديها الضمير في العربية، وضمائر الإشارة و-كذلك - الموصولات... وكل هذه العناصر محققة للاتساق النصي .

الإحالة المقامية:

وهي: «إحالة عنصر لغوي إلى عنصر إشار ي غير لغوي موجود في المقام الخارجي، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد إلى ذات المتكلم، حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصر غير لغوي هو ذات المتكلم، ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته في تفاصيله، أو مجملا، إذ يمثل كائنا أو مرجعا موجودا مستقلا بنفسه»[1] .

ولو أحدثنا مقارنة بين الإحالتين (المقامية والنصية) نلاحظ أن :النصية أكثر تعقيدا من الأولى ذلك لأنّ:

- المقامية مرتبطة بمفهوم واحد بين السياق الخطي والمقام، ومتعلقة بمفهوم الإشارة، فلا يجد المتلقي صعوبة في فك شفرتها.

- النصية يتجاذبها الملفوظ، وتتطلب حضورا ذهنيا في أطراف النص لعدم الغلط في تحديد المحال إليه.

[1]**Halliday m.a.k and ruqaiya hasan (1976) cohesion in english .long man London p37.**

الفصل الثاني

وسائل حدوث الإحالة

في العرف اللساني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

توطئة:

بعد عرضنا للفصل الأول ، الذي عرفنا فيه معنى الإحالة وموقعها في التواصل ، سوف نتطرق في هذا الفصل للوسائل التي توجد الإحالة داخل الخطاب؛ لأن وسائلها تتوسع بتوسع آفاق التواصل وتتعدد بتعدد مراتبه، والاكتفاء بالوسائل التي يكشفها الخطاب يجعل بحثنا يتموقع بين المسموع والمكتوب منه، دون الولوج إلى الإشارة المقاميه وما يترتّب عنها من امتداد أطراف البحث.

كما لا يمكن أن نقصي المقام الذي يوجد فيه الخطاب (النص) ، بحكم أنّه المرجع الذي يفسر الظواهر اللغوية المبهمة داخل النص المدروس، لذا فاستنتاج هذه الوسائل من النص العربي ليس بالأمر الهيّن، وإنّما يأخذ البحث على عاتقه التركيز على الوسائل الأكثر حضورا في المدوّنة المدروسة ، ليساعدنا هذا الاختبار في اكتشاف المناحي البلاغية التي تعرضها هذه الوسائل .

وعلى كل ، فإنّ الكلام لا تجري له فائدة إلّا بتعلق معانيه مع بعضها البعض ، و هذا من خلال الدور الذي تلعبه الألفاظ (العناصر) الإحالية داخل الزمرة النصيّة ، وتتضافر المعاني في ذهن المتلقي بموجب تلك العناصر ليأْتلف النص، ويكون جاهزا للتلقي.

والعناصر المحققة للعلاقات الإحالية ، درسها النحاة قديما ، واستنبطوا الوظيفة التركيبية التي تخلقها هذه العناصر داخل الجملة، وركزوا على استخلاص المواقع الإعرابية لها، دون مراعاتها داخل الخطاب، باستثناء الدور الذي لعبه المفسرون في مضمار النص القرآني الذي فرض عليهم التمسك بعناصر الإحالة، والتّحقيق في ما تُفسَّر إليه هذه العناصر؛ لأنّ معاني الآيات تتغير بتغير المحال إليه.

وقد ذهب حسن بحيري إلى أنّ معالجة الإحالة في اللغة العربية تولِّد صعوبات على الباحث، ودللّ على مذهبه هذا بتعدّد المحال إليه في الإحالة النصية بوجه خاص ، اختلاف النّحاة في التفسير التركيبي والدلالي لعناصر الإحالة .[1]

وهذا أمر صحيح؛ إذ إن القارئ للنص العربي عليه أن لا يقصي المقام الذي وجد فيه النص؛ لأنه يحتل موقعا حسّاسا في تفسير الظواهر الإحالية داخل النص.

أما بالنسبة للنص القرآني فإن الوعي بأسباب النزول يعدُّ من أولويات الباحث حتى ي عرف المعاني المتواترة والتي لا يتم فهمها منذ الوهلة الأولى ، ولكن الأمر يستدعي حضور قرائن عديدة منها المقام.

وقرينة الربط هي القرينة الأكثر حضورا على مستوى النصوص ، فكلّ متكلم (كاتب) يسعى جاهدا لتوظيفها حتى يتمكن من تبلغيه للمعنى للمتلقي ، وفق الكيفية التي أرادها ، أو ليس ينتج النص من أجل تبليغ المعنى؟! .

و من البديهيّ أن لكل لغة من اللغات البشرية أدوات ربط تعرف بها دون أخواتها من اللغات الأخرى، وهذا ما حدّده الدارسون المحدثون من خلال اعتقاداتهم أن الذي يفي بمعرفة اللغات عليه أن يدرك الوسائل التي يجري من خلالها الربط.

1/ وسائل الربط الإحالي في العربية :

[1] ينظر: دراسات لغوية تطبيقية، ص93.

أ/ **الضمائر** :

شغل الضمير حيّزا كبيرا في الدراسات النحوية ، إذ إنه يعد عنصرا من عناصر الربط النحوي؛ حيث لا يمكن أن تعقب جملة أختها إلا بضمير يربط عناصر الكلام وتحقق به الفائدة والضمير اسم جامد يدل على متكلم، أو مخاطب، أو غائب [1].

أ1/ الضمائر الدالة على المتكلم :

حدد النّحاة خمسة ضمائر للمتكلم هي : أنا، نحن، و التاء، و الياء، و نا.

- أنا عرفت الله حق المعرفة.
- نحن عرفنا الله حق المعرفة.
- إن الله يرعاني .

فكل هذه الضمائر دلت على المتكلم، منها ضميران للجمع، و ثلاثة منها للمفرد هكذا:

نحن + نا = الجمع ← المذكر+المؤنث

أنا + ت + ي = المفرد

مع العلم أنها تدل على الجنس المذكر والمؤنث معا، دون تمييز.

[1] عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر ، ط3، دت ، 217/1.

والملاحظ على ضم ير المتكلم أنه: إما متصل أو منفصل ، أما المتصل فهو الذي يلحق الاسم أو الفعل أو حروف الاضافة ، وأما المنفصل فهو الذي يكتفي بنفسه ، ولا يحتاج إلى قسم من هذه الأقسام.

والظاهر على ضمير المتكلم المنفصل أنه أبلغ في الإحالة من الضمير المتصل ، ففي قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [1]، فالضمير"أنا"في هذه الآية الكريمة أعطى قوة الإحالة؛ لأن هذه الآية لو وردت بدون الضمير المنفصل للاحت لمعنى آخر لا يستقيم ومراد الله تعالى.

وكذلك الأمر في الآيات التي بعدها ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [2] فقد استعمل الله سبحانه وتعالى ضمير الذات من أجل ملمح بلاغي لا يظهر إلا لِذِي لب تفنّن في إعادة النظر الثاقب المرة تلوى المرة ولو أعدنا قراءة الآيات السابقة بحذف ضمير الذات، لما وجدنا تلك الحلاوة التي تنبعث ووجود الضمير ، وكأنك تلمح الأنس تتفجر ينابيعه في صورة تكتمل مناحيها بوجود الضمير "أنا" الذي يشعر سيدنا موسى ـعليه السلامـ بالحنوّ والعطف والأمان، بعد الخوف والهلع والهجران.

وبالاعتبار الذي أسلفناه، بخماسية ضمائر المتكلم ينتج لدينا الجدول الذي وضعه النحاة:

الضمائر المنفصلة	الضمائر المتصلة

[1] سورة طه: الآية[12].

[2] نفس السورة: الآية[14].

المفرد	أنا	ت، ي
الجمع	نحن	نا

وهناك صيغ تدل على المتكلم ، لم ترد في جدول النحاة ولكنها وردت في مواقع أخرى ، قال ابن يعيش: «وجُعل بعض المتصل في النيّة كالضمير في "أفعل"، و" يفعل"، و"تفعل"، وفي"زيد قام" و"يقوم" مبالغة في الإيجاز عند أمن اللبس ، بدلالة حروف المضارعة على الضميرين، ألا ترى أنك إذا قلت : "أفعل" فالهمزة دلت على أن الفعل للمتكلم وحده ، والنون على أن المتكلم معه غيره، والتاء دلت على أن الفعل للمخاطب أو الغائبة ؟»[1].

من خلال كلام ابن يعيش يظهر لنا أن الصيغتين " أفعل، نفعل " تدلان على الضمائر ولكن ليست بضمائر؛ لأنهما لا تدلان على الاسمية بخلاف اللواحق(ت، ي، نا) .

وهنالك ضمائر نصب منفصلة عددها اثنا عشر ضميرا منها اثنان للمتكلم :

إياي ⟵ للمتكلم المفرد

إيانا ⟵ للمتكلمين الجماعة

ولو أحدثنا مقابلة بين (إياي و إيانا) مع (ي و نا) على التوالي ينتج لدينا:

[1] شرح المفصل، 303/2.

الضمائر	المثال	نتيجة المقابلة
ي	ذهبتَ معي إلى المسجد	ي = إياي
إياي	ذهبتَ و إياي إلى المسجد	ي = إياي
نا	هداكم الله وهدانا	نا = إيانا
إيانا	هداكم الله و إيانا	نا = إيانا

ومنه يصبح لدينا جدول لضمائر المتكلم على النحو التالي :

	منفصلة	متصلة	
		سوابق	لواحق

المفرد	أنا، إياي	أ	ت , ي
الجمع	نحن، إيانا	ن	نا

الضمائر الدالة على المتكلم

أ2/ الضمائر الدالة على المخاطب :

تنقسم ضمائر المخاطَب إلى منفصلة ، و أخرى متصلة ، وهذا انطلاقا باتباعها في الملفوظ العربي لدى النحاة .

أما المنفصلة فهي إما تدل على المذكر ك .:"أنتَ"و " أنتم"، أو تدل على المؤنث ك .: "أ نتِ" و"أنتن" أو تدل على المؤنث والمذكر معا ك:"أنتما".

أما المتصلة، فهي إما سوابق أو لواحق .

1/ **السوابق** : تدل "التاء" في صيغة "تفعل" على المخاطب ، إذ تقول للمفرد المخاطب المذكر : "أتأكل التفاحةَ ؟" بتاء مبنية على الفتح، ونقول ـكذلك ـ" أتسبح الله ؟" بتاء مبنية على الرفع.

2/ **اللّواحق** : ترد اللواحق التي تدل على المخاطب مع صيغة "فَعَل" مثل"سبّح"، أو"أفعَلَ"مثل "أكْرَمَ" وهذه الصيغتان تدلان على الماضي وتردان على النحو التالي :

تَ ⟵ مفرد مذكر

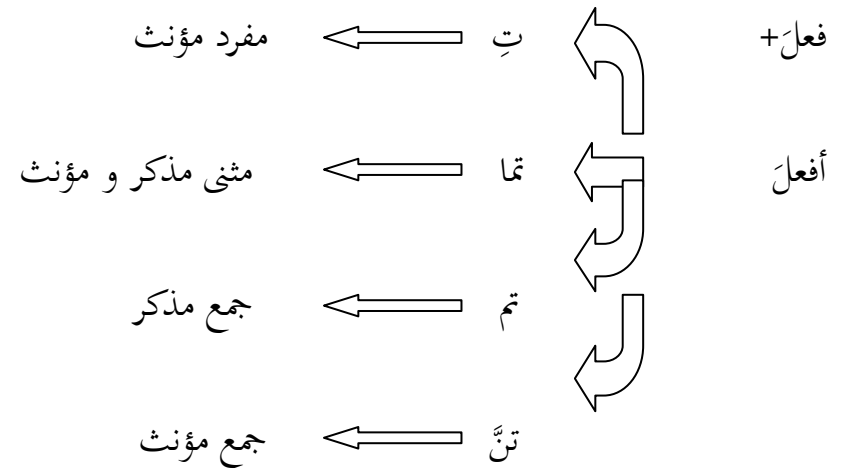

و ترد كذلك مع صيغة "أفْعَلْ" مثل "سبِّحْ"، أو صيغة "أفعِلْ" مثل "أكرِمْ" وهما تدلان على الأمر .

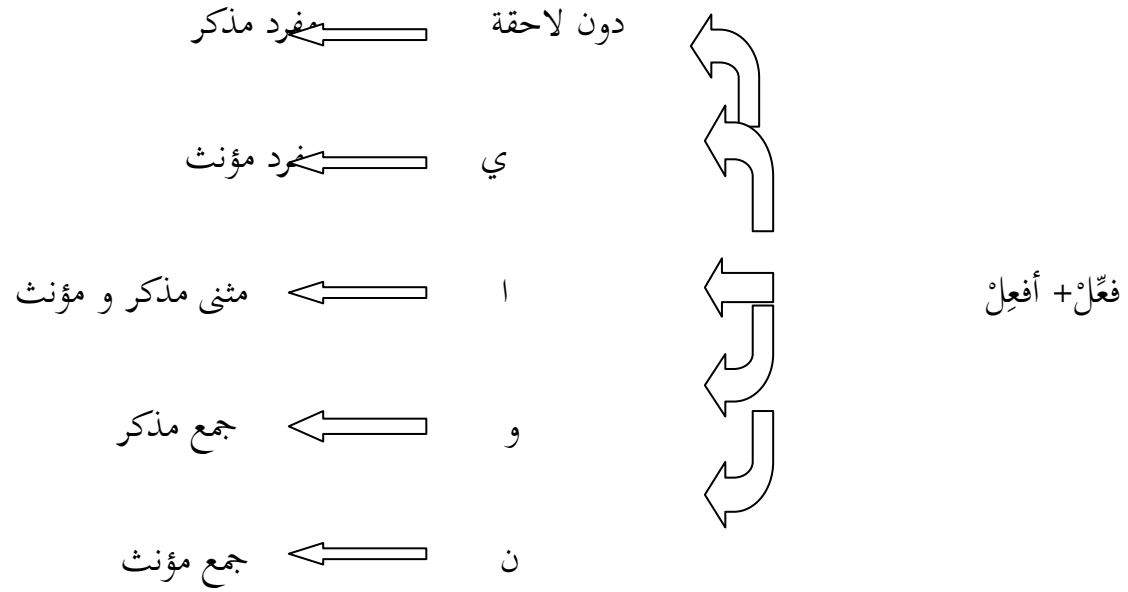

و ربّما تأتي (ي، أ، و، ن) مقترنة بالنون، ويسمّيها النحاة الأفعال الخمسة وهي: تفعلان ويفعلان و يفعلون وتفعلون وتفعلين[1]، وهذه الأفعال زمنها المضارع.

[1] ينظر مثلا: ابن هشام الأنصاري، قطر الندى و بل الصدى تح: إبراهيم قلاتي د ط، د ت، ص 36.

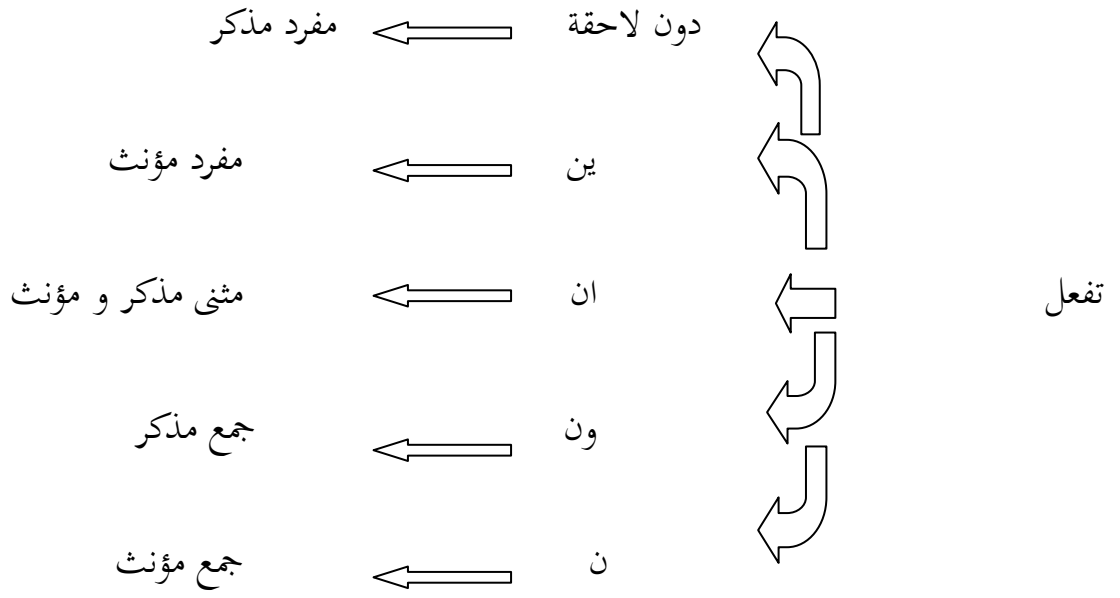

وقد ترد اللواحق مع جميع الملفوظ الفعلي، سوى الأمر وحروف الإضافة، ولكن بالكاف التي تدل على المخاطب.

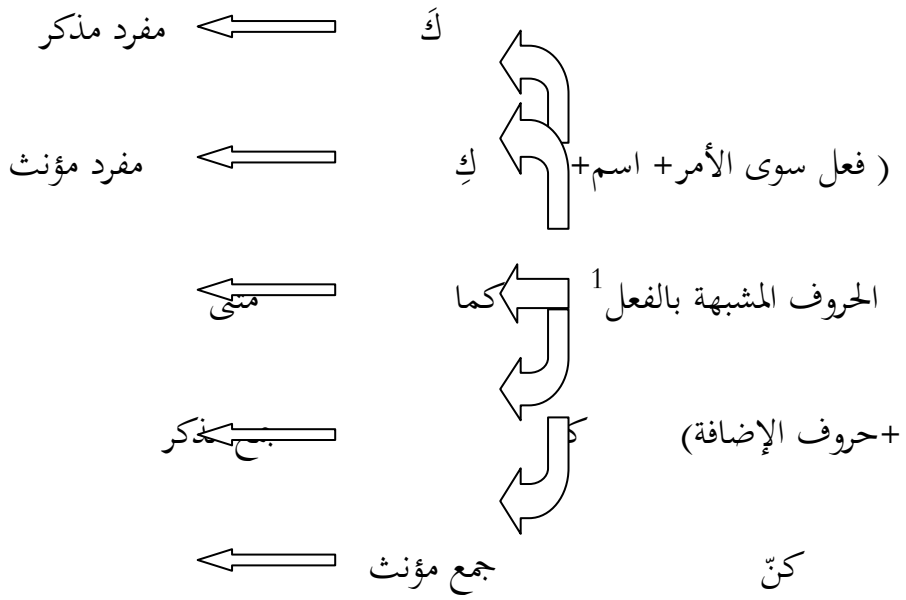

كما أن هناك ضمائرا منفصلة تأتي في محل نصب عددها خمسة للمخاطب .

2هي:(إن وأن ولكن وكأن وليت ولعل وما يدخل في بابها)

إيّاكَ ⟸ للمخاطب المذكر

إيّاكِ ⟸ للمخاطب المؤنث

إيّاكما ⟸ للمثنى المذكر و المؤنث

إيّاكم ⟸ للجمع المذكر

إيّاكن ⟸ للجمع المؤنث

و منه يكون جدول الضمائر الدّالة على المخاطب على هذا النحو :

الضمائر الدّالة على المخاطب

	المنفصلة	المتصلة	
المفرد	أنتَ، أنتِ، إيّاكَ، إيّاكِ	تَ، تِ	تَ، تِ، ي، ين، كَ، كِ
المثنى	أنتما، (مذكر و مؤنث) إيّاكما(مذكر، مؤنث)	/ /	تما، ا، ان كما

الجمع	أنتم، أنتنّ، إيّاكم، إيّاكنّ	/	تم، تنّ، و، ن، ون، كم، كنّ

أ3/ الضمائر الدالة على الغائب:

ترد ضمائر الغائب لدّلالة على عدم مشاركة المقصود في المقام الحضوري للخطاب ، إذن فهي ضمائر تقابلية مع ضمائر المخاطب .

ضمائر المخاطب المنفصلة	ضمائر الغائب المنفصلة
أنتَ	هو
أنتِ	هي
أنتما (مذكر , مؤنث)	هما(مذكر,مؤنث)
أنتم	هم
أنتنّ	هنّ

هذا بالنسبة لضمائر الغائب المنفصلة أما المتصلة فهي على النحو التالي:

1/ السوابق:

لا يمكن أن نعتبر صيغتي (يفعل، تفعل) بأنّ حرفي مضارعيْها يدلان على الغائب؛ لأنّه لا يمكن أن نستعملهما بمعزل عن الضمير المنفصل، أو عن صاحبهما التي هي له، وهذا بخلاف ما دلت عليه (تَ , تِ) في المخاطب و "أ" و "ن" في المتكلم.

2/ اللواحق:

قد تستعمل اللواحق للدلالة على الغائب في الماضي بجميع صيغه (الثلاثي ، الرباعي ، الخماسي السداسي) ولا يمكن أن نجد هذه اللواحق في غير الماضي ،وهي على النحو التالي:

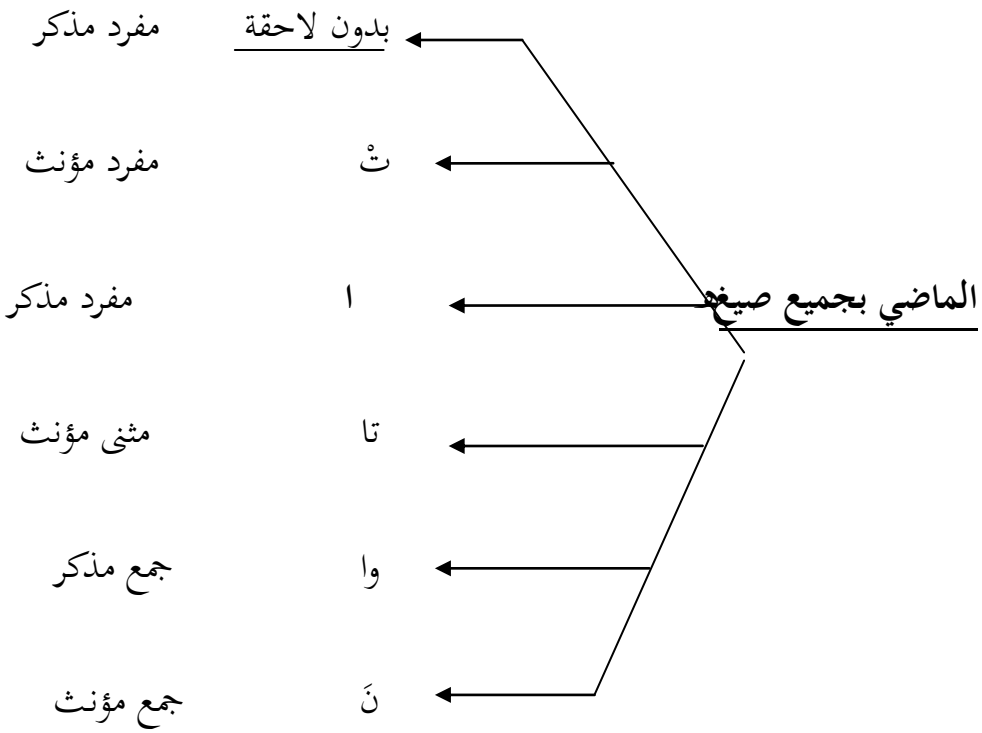

وقد نستعمل اللاحق في الأسماء، والحروف المشبهة بالفعل، وحروف الإضافة .

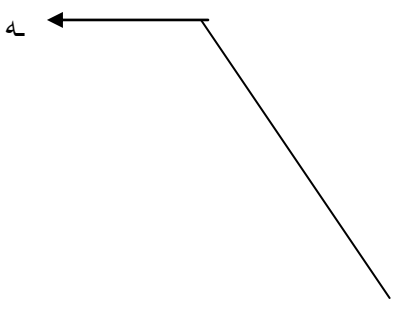

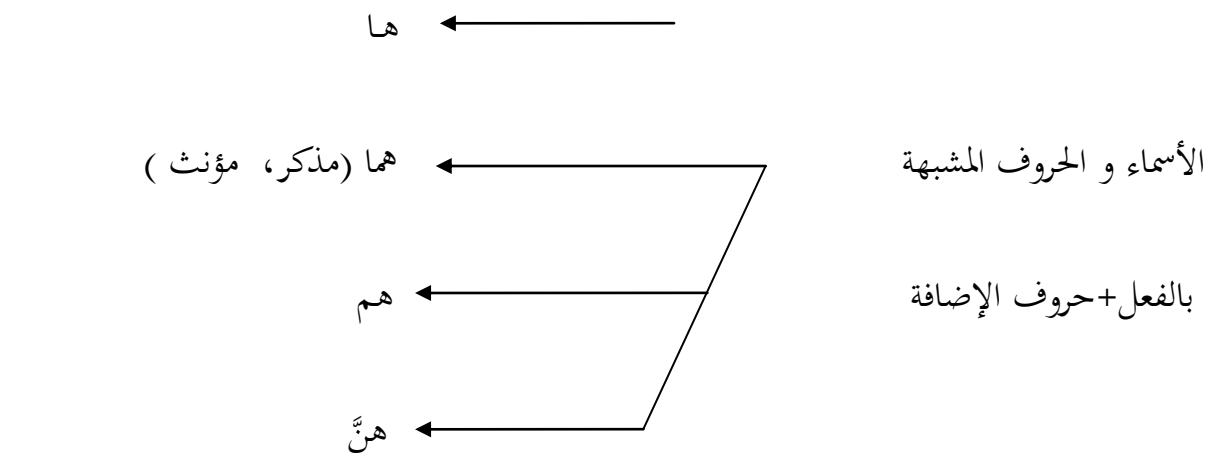

وإذا أحدثنا مقابلة بين (ـه ، ها، هما، هم، هنَّ) مع ضمائر المخاطب المنفصلة (هو ، هي، هما هم، هن) وجدنا أن اللواحق (هما ، هم، هن) تطابق الضمائر المنفصلة (هما، هم، هنّ) فهذه الضمائر ترد على الوجهين (منفصلة و متصلة).

و عند البحث عن اللواحق التي تلحق الأفعال الخمسة نجد ما يلي :

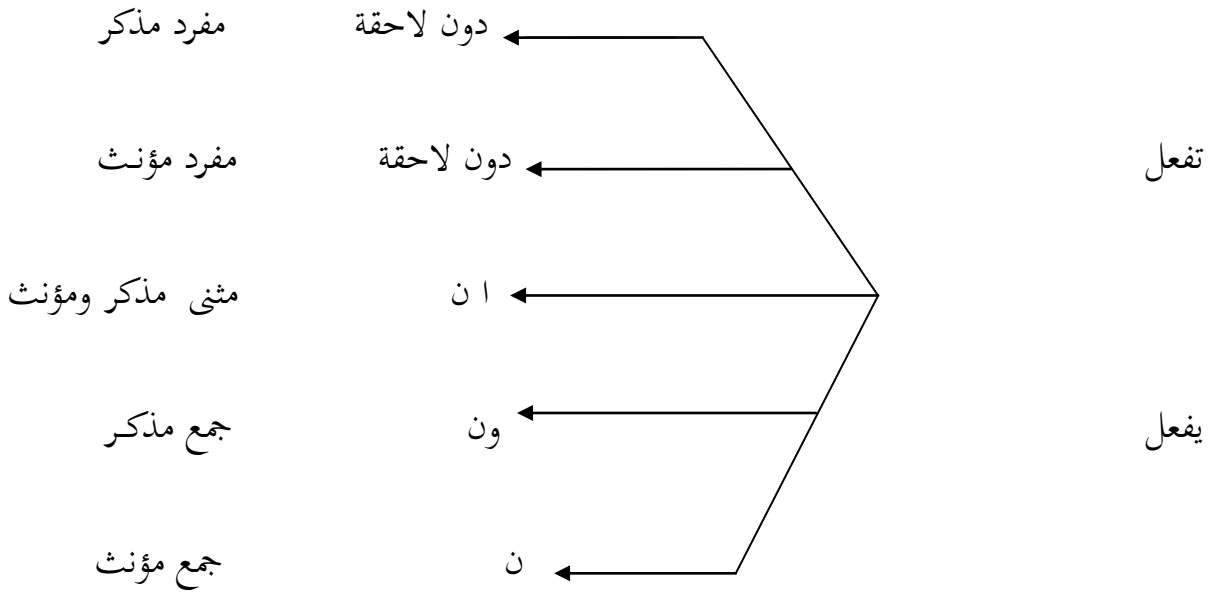

وهذه اللواحق نفسها التي نجدها في المخاطب الذي نستعمل معه الأفعال الخمسة ، سوى في المؤنث الغائب فإنَّا نجده بدون لاحقة، أما المؤنث المخاطب فلاحقته هي:"ين".

_ أما الضمائر الخاصة بالغائب، والتي ترد في محل النصب هي إياه، إياهما، إياهم ، إياهن.

و منه نستطيع أن نضع جدولا لضمائر الغائب كالآتي :

ضمائر الغائب

	المنفصلة	المتصلة	
	هو,هي	سوابق	لواحق
المفرد	إياه,إياهما	/	تْ، ـه، ها
المثنى	هما(مذكر ومؤنث) إياهما	/	ا، تا، هما، ان
الجمع	هم,هن,إياهم إياهن	/	وا، ن، هم، هن ون، ن(نون النسوة)

القيمة الإحالية للضمائر:

1/ **ضمير المتكلم** :

لو نظرنا لضمير المتكلم في القرآن الكريم ، لوجدناه يستعمل منفصلا ومتصلا في مواضع كلٍّ على حِدا، ويستعمل متصلا ومنفصلا في نفس الموضع .

أ/ بعض المواضع التي يرد فيها ضمير المتكلم منفصلا:

إن المتأمل لضمير المتكلم المنفصل في القرآن الكريم ، يجد أنه يستعمل في المقام الحضوري ولذلك اشترط النحاة أن يكون حاضرا الذي يستعمل ضمير المتكلم ، ففي جواب إبليس عليه اللعنة للخالق سبحانه: ﴿ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾[1] و_كذلك _ في قول صاحب يوسف للملك وحاشيته ﴿أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ﴾[2]و_كذلك _ في قول صاحب الجنتين لصاحبه: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾[3]و-كذلك - في قول عفريت من الجن لسليمان - عليه السلام-: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾[4] و—كذلك — في قول من عنده علم من الكتاب لسليمان — عليه السلام —:﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[5] .

- فالضمير "أنا" في جميع هذه الآيات استعمل في المقام الحضوري ، ولم يعبر إلا على الذي هو مشاهد سواء كان آدميا أو غيره ، وإذا لم يكن مشاهدا فيشترط أن يعرف السامع أو القارئ على من يعود ضمير المتكلم.

---

[1] سورة الأعراف : الآية:[12].

[2] سورة يوسف : الآية[45].

[3] سورة الكهف : الآية [34].

[4] سورة النمل : الآية [39].

[5] نفس السورة : الآية [40].

أما إذا استعملت هذه الضمائر من الله سبحانه وتعالى للدلالة على ذاته العليا ، فإن السياق يدل عليه.

فمثل قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴾[1]، قد استعمل ضمير الجمع "نحن" عوض "أنا" فهذا لمقصد بلاغي هو التعظيم كما أنه قد وردت إحالة بضمير مفرد للدلالة على الخالق ـعزوجلـ في قوله تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾[2].

ب/ بعض المواضع التي يأتي فيها ضمير المتكلم متصلا:

قال تعالى على لسان موسى ـعليه السلامـ: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْ لِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾[3] .

فلو نظرنا آيات سورة طه ، لوجدنا أنه استعمل ضمير المتكلم "ي" في مرات عديدة مما زاد فيها إشراقا وتجلية ، فصورت لنا ذلك التذلّل من موسى الرسول المحتاج إلى رحمة ربه ، وعونه، ومدده فلذلك كانت إحالة الضمير كل مرة عائدة إلى موسى ـعليه السلام – فهو في مقام التذلل والانكسار بين يد ربه سبحانه.

وقد استعمل الله ـ عزوجلـ الضمير المتصل الدال على الجماعة في مواضع متفرقة من القرآن الكريم،ه منها آية سورة الأنبياء، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا

---

[1] سورة الإنسان: الآية[28].

[2] سورة طه: الآية [13].

[3] نفس السورة :الآتين [32 . 25].

إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[1] فالضميران "نا" و"ن" يحيلان إلى ذات الله سبحانه وتعالى، ولم يستعمل الله ـ عزوجل ـ الضميرين المتصلين "ت" و "أ" الدالين على المفرد لنفس المقصد البلاغي الذي أشرنا إليه سابقا.

ج/ استعمال ضمير المتكلم متصلا و منفصلا في نفس الموضع:

وهذا ما نجده في قوله تعالى : ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾[2]، فلو نظرنا إلي القيمة الإحالية التي يعطيها الضمير "أنا" لوجدنا أنه يزيد في قوة الإحالة، وكذلك الأمر في الآية الكريمة ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾[3]، فقد استعمل الله الضمير "أنا" مقترنا بـ: "ي" من أجل ملمح بلاغي لا يظهر إلا لذي لبٍّ أعاد النظر الثاقب المرة تلوى المرة، ولو أعدنا قراءة الآيات بحذف أحد الضميرين المنفصل، أو المتصل لما وجدنا تلك الحلاوة التي تنبعث ووجود الضمير .

وكأنك ترى الأنس تتفجر ينابيعه في صورة تكتمل مناحيها بتضافر الضمائر المحيلة على ذات الله – سبحانه وتعالى– التي تشعر سيدنا موسى – عليه السلام – بالحنوّ والعطف والأمان بعد الخوف والهلع والهجران .

2/ ضمير المخاطب :

ينبعث ضمير الخطاب في النص القرآني بأشكال مختلفة ، ومنها خطاب الله ـعزوجلـ أنبياءه ورسله وعباده بأن يتبعوا أوامره وتجنبوا نواهيه ويختلف غرض الخطاب من آية إلى آية ، تبعا لمراد الله

---

[1] سورة الأنبياء: الآية[25].

[2] سورة طه: الآية [12].

[3] نفس السورة :الآية[14].

ـعزوجلـولعلنا نورد بعض الآيات التي يرد فيها ضمير الخطاب منفصلا تارة ومتصلا تارة أخرى مع التعليق على الملمح البلاغي لهذا الضمير ، مع العلم أن ضمير الخطاب المنفصل ورد أكثر من المتصل في القرآن الكريم.

أ/الضمير منفصل:

استعمل الله ـعزوجلـ في كتابه العزيز ضمير الخطاب المنفصل في مواضع ، منها ما قاله أبو إبراهيم لإبراهيم –عليه السلام-:﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [1]، وكذلك في قول فرعون وحاشيته لموسى –عليه السلام- : ﴿اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ﴾[2]، وكذلك في خطاب الله ـعزوجلـ لنوح ـعليه السلام-: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ ﴾ [3] وكذلك في خطابه لنبينا –صلى الله عليه و سلم -: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[4] .

وإذا نظرنا إلى هذه الآيات بقليل من الفطنة ، نجد أن الله قد استعمل الضمير في آية مريم ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ﴾للدّلالة على كبر وعنجهيّه آزر من بعد ما دعاه ابنه إلى الطريق الحق ، ولو كان متأدبا مع نبي الله وابنه لوردت الآية دون ضمير فصل –والله أعلم- ، واستعمل الإله الحق ضمير الخطاب منفصلا ومتصلا في ﴿إذا اسْتَوَيْتَ أَنتَ ﴾؛ لأنّه في مقام التّشريف والتكريم لسيدنا نوح – عليه السلام – فبعدما لقيه من صدود ونفور من دعوة الحق ، أكرمه ربه بصنع السفينة وطهّره من القوم الظالمين .

1سورة مريم: الآية [46].

2سورة طه: الآية [58].

[3]سورة المؤمنون: الآية[28].

[4] سورة القلم: الآيتين [1، 2].

ويأتي مقام آخر في صورة الإيناس والشّد على العضد من ربّنا سبحانه لنبينا – صلى الله عليه وسلم – بعد ما لقيه من ظلم و ثبور ﴿ ما أنت بنعمة ربك بمجنون ﴾فها هو يأتلف مشهد زاده الضمير "أنت" رِيادة وشه.ادة من ربنا بعظم أخلاق نبينا، ورفعة قدره عند مولاه.

وكما ورد ضمير الخطاب مفردا دالا على رسل وأنبياء الله تعالى ـفيما سبقـ، فإن ضمير الجماعة المخاطبة قد جاء في مواضع من القرآن، منها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾[1]، وقوله: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾[2] وقوله: ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[3] ، وقوله على لسان لوط ـعليه السلامـ: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾[4]، فالضمير "أنتم" في هذه الآيات الكريمة إنما أحال إلى جماعة المخاطبين، و يكون هذا الخطاب إما من الله ـ عز و جلـ إلى عباده، أو من أنبيائه ورسله ـعليهم السلامـ إلى أقوامهم، وتحدد قيمة الإحالة من مقام إلى مقام.

ولننظر إلى قول إبراهيم – عليه السلام –: ﴿لقد كنتم أنتم﴾فقد استعمل ضمير الخطاب تارة متصلا، وأخرى منفصلا ليوضح لنا غيرة وغضب إبراهيم ـعليه السلام ـ لدين ربه ـعزوجلـ بعد ما رأى من قومه عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع.

ب/ الضمير متصلا :

مثل ما ورد ضمير الخطاب منفصلا، فإنه –كذلك– قد جاء متصلا في مواضع منها :

---

[1] سورة المائدة: الآية [95].

[2] سورة الأنبياء: الآية [52].

[3] نفس الشورة: الآية[54ٍ].

[4] سورة الشعراء: الآية[166].

قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا وَإِذاً لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّقَلِيلاً﴾[1]، وقوله: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِ كَ﴾[2]، وقول : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾[3]، وقوله: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً ﴾[4] فضمير الخطاب في الآيات الثلاث الأولى: قد أحال إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو يخاطبه ربه ليشدّ من أزره و يسليه على ما يلقى من أعدائه ومبغضيه، من صدٍّ وعتوٍّ ونفور.

كما أنه خطاب الله ـعزوجلـ نبيه بالقرآن، فقد خاطب عباده به ، وكانت أغراض هذا الخطاب متفاوتة من مقام إلى مقام بحسب ما يقتضيه سبب النزول.

3/ ضمير الغائب :

قد جاء في القرآن الكريم ضمير الغائب منفصلا، ومتصلا بحسب ما يقتضيه السياق .

أ/ الضمير منفصلا :

مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾[5]، وقوله : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ ﴾[6]، وقوله: ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾[7] فكل

---

[1] سورة الإسراء: الآية[76].
[2] سورة فاطر: الآية[4].
[3] سورة القيامة: الآية[16].
[4] سورة الفرقان: الآية[77].
[5] سورة الأنبياء: الآية[33].
[6] نفس السورة: الآية [94].
[7] نفس السورة: الآية [102].

فكل هذه الضمائر دلت على غائب معلوم بالضرورة لدى متلقي القرآن ، وقد أحال الله سبحانه وتعالى بضمير الغائب "هو" على ذاته العليا للتعظيم والتأكيد منه سبحانه على عظمته وقدرته .

ب/ الضمير متصلا :

وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ و لبئس الْمَصِيرُ ﴾[1] ، وقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾[2]، وقوله: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾[3]، وهكذا يحيل ضمير المتصل في هذه الآيات إلى الذين كفروا ، أو إلى الذين آمنوا، آمنوا، وعملوا الصالحات، وأنهم أصحاب الجنة ، أو إلى الغائب المؤنث، وكل هذه الضمائر وغيرها زادت في اتساق النص القرآني انطلاقا من الجانب الصوتي إلى الجانب التركيبي التآلفي.

ب/ ضمائر الإشارة :

المغزى من إيراد ضمائر الإشارة هنا، هو ليس من أجل أن نناقشها تركيبيمثل ما فعل النحاة، و إنما من أجل مناقشة قيمتها الإحالية، وسنركز أكثر على الإشاريات التي تظهر بكثرة في القرآن الكريم . وقبل هذا ينبغي أن نعرف معنى الإشارة .

الإشارة : دال يدل بمدلوله على شيء ما في العالم الخارجي سواء كان حسيا أو معنويا ، يدرك بالعين أو القلب ــ كما قال النحاة ــ ، ولعلّ النحاة قد أوردوا من خلال دراستهم للمدونة العربية ضمائر الإشارة التي تدل على المفرد والمثنى والجمع مذكرا ومؤنثا؛ حيث قال سيبويه (ت 180 هـ) :

---

[1] سورة الأنبياء: الآية[33].

[2] سورة يونس: الآية[9].

[3] سورة الطلاق: الآية[2].

«والأسماء المبهمة هذا ، وهذان ، وهذه ، وهاتان ، وهؤلاء ، وذلك وذانك ، وتلك ، وتانك وتيك ، وأولئك »، ومن خلال تحديد سيبويه نلاحظ أن ضمائر الإشارة تنقسم إلى :

1/ **ضمائر إشارة للمذكر**: هذا، هذان، هؤلاء، ذلك، أولئك، ذانك .

2/ **ضمائر إشارة للمؤنث**: هذه، هاتان، تلك، تيك .

3/ **ضمائر إشارة للمفرد**: هذا، هذه، ذلك، تلك .

4/ **ضمائر إشارة للمثنى**: هذان، هاتان، ذانك .

5/ **ضمائر إشارة للجمع**: هؤلاء، أولئك، تيك.

6/ **ضمائر إشارة للقريب**: هذا، هذه، هذان، هاتان، هؤلاء.

7/ **ضمائر إشارة للبعيد**: تانك، ذلك ،أولئك، ذنك، تلك، تيك .

و منه نستطيع أن ترسم جدولا كالآتـي :

	قريب		بعيد	
	مذكر	مؤنث	مذكر	مؤنث
مفرد	هذا	هذه	ذلك	تلك
مثنى	هذان	هاتان	ذانك	تانك
جمع	هؤلاء		أولئك	تيك

وسيبويه يستعمل مصطلح متراخ ، وغير متراخ [1]، عوض استعمال قريب وبعيد ، والتي نجدها في كتاب المفصل للزمخشري (ت 538هـ)الذي سمح باستعمال مصطلح متوسط وهو ما بين القريب والبعيد، وهذا ما لا نجده عند سيبويه .

وانطلق الزمخشري في دراسة ضمائر الإشارة من مسلمة أن المشار إليه ثلاثة أقسام حيث :

هذا ، ذاك، ذلك ، قريب، متوسط، بعيد . وسنورد في هذا المقام جميع الضمائر الإشارية التي أوردها الزمخشري في مفصله ، مع ما تفيده من دلالات أفصح عنها شارح المفصل ابن يعيش (ت643هـ).

1/نظام ضمائر الإشارة بحسب العدد (مفرد، مثنى،جمع)[2].

أ/ ما يشار به للمفرد المذكر: وهو ضمير الإشارة "ذا".

ب/ ما يشار به للمفردة المؤنثة: وهو عشرة ضمائر، خمسة مبدوءة بالذال هي : ذي، ذَه (بكسر الهاء مع اختلاس[3]كسرتها) ، ذِهِ بكسر الهاء مع إشباع [4] الكسرة، وخمسة مبدوءة بالتاء هي : تي، تا ، تَهْ، تِهِ (بكسر الهاء مع اختلاس الكسرة)، تِهِ (بكسر الهاء مع إشباع الكسرة).

ج/ ما يشار به للمثنى المذكر: وهو ضمير الإشارة ذان(للرفع)، وذين(للنصب و الجر).

د/ما يشار به إلى المثنى المؤنث: وهو ضمير الإشارة تان(للرفع)، وتين(للنصب والجر)

1ينظر للكتاب ج78/1.

1ينظر: شرح المفصل، 352/2 و ما بعدها، و قطرالندى و بل الصدى ص 63.62.61، والنحو الوافي 322/2 و ما بعدها).

2الاختلاس هو النطق بالحركة خفيفة سريعة مع عدم إطالة الصوت.

3عكس الاختلاس.

هـ/ ما يشاربه للجمع مطلقا (مذكر و مؤنث): هو ضمير الإشارة "أولاء".

نظام الإشارة بحسب (القرب والتوسّط والبعد):

أ/ ما يشار به في حالة القرب: هي جميع ضمائر الإشارة المفرد والمثنى والجمع من غير زيادة في آخر تلك الضمائر.

ب/ ما يشار به في حالة التوسط:

ب1/ ما هو للمذكر بأنواعه الثلاثة (مفرد، مثنى، جمع): ذاك، ذانك، أولئك.

ب2/ ما هو للمؤنث بأنواعه الثلاثة (مفرد، مثنى، جمع): تيك، تاك، ذيك، تانك.

ج/ ما يشار به في حالة البعد: ذلك، تلك، تالك، هؤلاء.

د/ ما يشار به إلى المكان فقط: هنا، هناك، ثم، (مع إلحاق "ـة" في بعض الأحيان).

و يمكن أن نمثل الضمائر الإشارية في الجدول التالي:

المدى	قريب	متوسط	بعيد
ضمير الإشارة غير المكاني	ذا،ذي، ذه ذه(باختلاس)ذه (بإشباع)، ذات، تي تا، ته (باختلاس)	ذاك، ذانك، أولئك، تيك، تاك، ذيك، تانك.	ذلك، تلك، تالك هؤلاء.

	ته(بإشباع)ذان، تان، أولئك.		
ضمير الإشارة المكاني	هنا	هناك	هناك، ثم

هـ/ ما يشار به إلى الزمان فقط :

ومن أسماء الإشارة _كذلك_ ظروف تدل على الزمان منها : (الآن ، غدا ، أمس، حينئذ آنذاك...) وما كان في مثل هذه الظروف الزمانية .

القيمة الإحالية لضمائر الإشارة :

إن استنباط القيمة الإحالية لضمائر الإشارة ليس بالأمر الهين، وخاصة إذا كان الأمر يتعلق بمدونة القرآن الكريم؛ لأن هناك قيما قد لا تظهر للمتلقي الذي لا تسعفه المعرفة الكاملة بالجوانب التعبيرية للغة العربية من جانب ، و من جانب آخر الأسرار الكامنة في القرآن و تراكيبه؛ إذ إنه يستحيل الاطلاع على كل غرسٍ قد يعجز العقل البشري في استجلاء مكامنها.

كما أن المقام لا يتسع لإيراد كل البنيَّات التي يظهر من خلالها ضمير الإشارة ، ولذلك سنعمل على تتبع بعضها فقط، وبالاقتصار على ما يحيل إلى النص.

1/ إحالة ضمير الإشارة الدال على القرب:

جاء في القرآن الكريم ضمير الإشارة الدال على القرب يحيل إلى نص قبلي بكامله ، وهذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللّهُ وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1]؛ حيث قد أحال الله تعالى بضمير الإشارة "هذا" إلى القصص التي أوردها قبل هذه الآية الكريمة ، وهي قصة امرأة عمران و زكريا – عليه السلام – وعيسى –عليه السلام– وفيها من العبر والدروس ماهو تذكرة لأمة محمد _صلى الله عليه وسلم_، وقد أشار الله بضمير الإشارة "هذا" الدال على القرب دون غيره من الضمائر لما فيه من قرب الاتصال بما قبله.

وقال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[2] أحال الله . _عز وجل_ بضمير الإشارة "هذا" إلى ما تقدم من مضمون الآية السابقة ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾[3]؛ حيث إنها بيان لما غفلوا عنه من عدم الاستقامة والصلاح فناسب حضور ضمير الإشارة لهذا البيان المبجل من الله _عز وجل _ لقيمته في حياة الناس وحاجتهم إليه؛ لأن فيه هداهم وموعظتهم.

وقال تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾[4] أحال الله _عز وجل_ بالإشاري "هذا" على من تقدم من ذكر ، وحالهم فيه من العبرة والآيات الدالة على عظمته سبحانه ، وقد لفت إمام التفسير _ابن عاشور_ إلى أن جملة "هذا ذكر" جملة فصلت الكلام السابق عن الكلام الآتي بعدها

---

[1] سورة آل عمران :الآية [62].

[2] نفس السورة :الآية [138].

[3] نفس السورة: الآية [137].

[4] سورة ص: الآية[35].

قصدا لانتقال الكلام من غرض إلى غرض [1]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾[2]، ضمير الإشارة فيها أحال على متقدم في كلا الصورتين؛ حيث قد قدم الله لعباده إلى الله رب العالمين .

ومنه نستطيع أن نمثل للإشارة النصية ذات المعنى القريب بما يلي :

هذا v هذه = جملة1+ جملة2 + جملة 3 +.....+جملة ن

v = جملة

مع العلم أن، الجملة = حدث

ومنه يرتج: ح1+ح2+ح3+.....ح ن = هذا/ح = هذا

2/ إحالة ضمير الإشارة الدال على التوسط :

مثل ما ورد ضمير الإشارة الدال على القرب يحيل على نص –فكذلك– ضمير الإشارة الدال على التوسط ورد يحيل على نص مثل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[3]؛ حيث ضمير الإشارة "أولئك" يفسره النص الذي قبله من حال الصابرين الذين صبروا على قضاء الله و قدره ، هو في قوله تعالى : ﴿أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾[4]؛ حيث أحال "أولئك" على صفات عباد الله المتقين ، الذين صاروا إلى مغفرة الله وجناته يسبب تلك الصفات الحميدة التي أوجبت لهم هذا الجزاء ، وكذلك – في قوله تعالى :

---

[1] ينظر: التحرير و التنوير، 28/22.

[2] سورة المزمل: الآية[19]+سورة الإنسان: الآية[29].

1سورة البقرة: الآية[157].

2سورة آل عمران: الآية[136].

﴿أولئك هو الوارثون ﴾[1]؛ حيث ما جاء بعد ضمير الإشارة " أولئك" من توريث الفردوس والخلود فيها ، إنما جاء بسبب اتصافهم بتلك الصفات التي وردت قبل ضمير الإشارة ، وبهذا لعب ضمير الإشارة دور الرابط المحيل على ما سبق ، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[2]؛ حيث أحال الله بالإشاري "أولئك" إلى ما سبق من صفات الذين اتبعوا سبيل الشيطان ولم يتبعوا سواء السبيل ، لتكون لهم العاقبة أنهم خاسرون .

ومنه نستطيع أن نمثل للإشاري أولئك كالآتي:

معنى سابق . أولئك . نتيجة لاحقة

حيث:

معنى سابق = صفة1 + صفة2 + صفة 3 + ... صفة ن

ونتيجة لاحقة = المفازة و الحسنى v الخسارة و السوء .

3/ إحالة ضمير الإشارة الدال على البعد :

وكذلك جاء هذا الضمير يحيل على نص ، و نجده في مواضع متفرقة من القر آن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[3]؛ حيث أحال "ذلك" إلى ما سبق و ذلك على أنهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه ، والكفر ببعض الكتاب ظاهر بين فيما

3سورة المؤمنون: الآية[10].

4سورة البقرة: الآية[27].

[3]نفس السورة : الآية[85].

فعلوه من أعمال تدل على خبث وعدوانية بني إسرائيل، وفي قوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾[1]؛ حيث يفهم إحالة ضمير الإشارة "ذلك" على مما سبق ، وذلك من قول الكافرين الذي جعله الله ــ عز وجل ــ حصرة في قلوبهم، فالله قد نهى المؤمنين على التشبه بالكافرين في بداية الآية الكريمة، ليشير في نهايتيها على عظم قول الكافرين بضمير الإشارة الدال على البعد، والذي يفهمنا بهذا المعنى – و الله أعلم –.

وقال تعالى:﴿ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[2]؛ حيث أحال الضمير "ذلك" إلى ما تقدم من صفات البيع الذي جعله الله مثوبة للمؤمنين الصادقين المتوفرين على ذلك العوض الذي حدده الله سبحانه و تعالى ، وتمت الإشارة إلى هذا الفوز العظيم "بذلك" لما له من دلالة على حضور المعنى المتأكد لدى متلقي القرآن الكريم، وأولويته عند المؤمنين الصادقين.

وقال تعالى:﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[3]؛ حيث قد أحالت "تلك" إلى الحدود التي يتعامل بها في مسألة الطلاق ، وهي مذكورة قبل الإشارة "تلك" ، وفي قوله تعالى :﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾[4]؛ حيث عمل "تلك" على الإحالة إلى ما سبق من القصص الماضية وما تحمله من عبر ومواعظ يستفيد منها المسلم في حياته الإيمانية وقال تعالى : ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ

---

[1] سورة آل عمران: الآية [156].

[2] سورة التوبة : الآية [111].

[3] سورة البقرة : الآية[230].

[4] نفس السورة: الآية [252].

وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾[1]، فضمير الإشارة "تلك" أحال إلى الأمثال المضروبة قبل هذه الآية ، وقد تكون الإشارة للتنويه بالأمثال المضروبة في القرآن التي منها هذا المثل بالعنكبوت[2].

وتكتفي للتمثيل بهذين الإشاريين "ذلك"و"تلك" في هذا المقام؛ لأن المجال لا يتسع بنا لأكثر من ذلك .

و يمكن التمثيل لهذين الإشارين كما يلي:

معنى سابق . الإشاري الدال على البعد . نتيجة حتمية

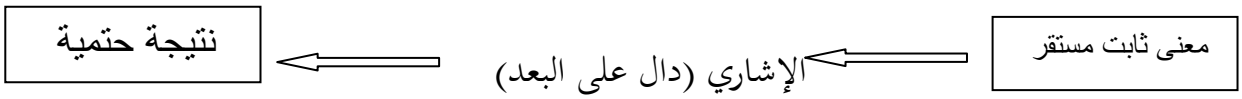

4/ إحالة ما يشار به إلى المكان :

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا ﴾[3]؛ حيث " هنالك" لا يفهم إلا بردها إلى ما سبق عندما رأى زكرياء – عليه السلام– ما يحدث مع مريم العذراء من خوارق العادة ، وهو يعلم علم يقين إن ذلك الأمر يحدث دون مسببات إذا كان متعلقا برب يوجد الأشياء من عدم ، هنالك في ذلك المقام دعا زكريا ربه عسى أن يحظى بما منع عليه في زمنه الفائت ، وكيف لا يدعوه وقد علم أن الأسباب لا يوجد لها مع مسبب الأسباب .

---

[1] سورة العنكبوت: الآية [43].

[2] ينظر: التحرير والتنوير، 256/20 .

[3] سورة آل عمران: الآية[38].

وجاء التعبير ب "هنالك" التي أفادت السرعة والتعقيب في الدعاء ، وبذلك يكون هذا الضمير قد أفاد معنى المكان والزمان معا، -والله أعلم -.

ومنها قوله تعالى: ﴿ هنالك ابتلى المؤمنون و زلزلوا زلزالا شديدا ﴾[1]، دلت " هنالك" على الإشارة إلى المكان الذي تضمنه الواقعة التي وقعت بالمؤمنين حين زاغت أبصارهم ، وبلغت قلوبهم حناجرهم من أثر الغيظ الذي أصابهم عند ما رأوا المشركين يحيطون بهم من كل جانب ،وهم لا يملكون ذلك التمكين، برغم أنهم على الحق وعلى الطريق المستقيم ، في هذا الموضع تنزل الرحمات الإلهية ، فيستبدل الخوف أمنا، والذل عزا، لتنصر كلمة الحق و تضحد كلمة الباطل وفي نفس هذا الموضع دلت "هناك" على الزمان العسير الذي مر به المؤمنون حين زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر.

في هذا الوقت سلمهم الله_ عزوجل_ وأيدهم بنصره، لتكون " هنالك" في هذا المقام ذات مدلولين أحدهما مكاني والأخر زماني – و الله أعلم – .

ومنه الآيات التي جاءت فيها "هنالك" تدل على المكان فقط قوله تعالى: ﴿فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ﴾[2] ، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً ﴾[3] وفي قوله _كذلك_: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴾[4] ، فكل هذه الآيات قد وردت فيها الإشارة "هنالك" دالة على المكان البعيد، و يمكن التمثيل لـ "هنالك" في هذا المقام على النحو التالي :

يتكون الحدث المشار إلى بـ "هنالك" من نص أو جملة هكذا :

---

[1] سورة الأحزاب: الآية[10].

[2] سورة الأعراف: الآية 119.

[3] سورة الفرقان: الآية [13]

[4] سورة ص: الآية [11].

الحدث = ج1+ج2+ج3+.....ج ن v الحدث =ج

و منه :

الحدث الإشاري ⟵ هنالك ⟵ الأثر الناتج (مكاني لا زماني)

2/ إحالة ما يشار به إلى الزمان :

_قال تعالى :﴿ ۚقالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾[1].....1

_قال تعالى :﴿ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ﴾[2] 2

_قال تعالى : ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾[3].....3

_قال تعالى : ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾[4] 4

كل العناصر الإشارية السابقة في (1 ، 2 ، 3 ، 4)أحالت إلى معنى نصي سابق يفسر المعنى الزمني لتلك العناصر، ليلحق هذه العناصر تحقق النتيجة .

معنى نصي ⟵ عنصر إشاري (الآن، حينئذ) ⟵ نتيجة

ج/ الموصولات :

لعل الذي جعلنا نورد الموصولات في هذا المقام ، هو لأنها تؤدي إلى الربط ، وتسهم إسهاما فعّالا في عودة الكلام بعضه على بعض.

---

[1] سورة البقرة: الآية [71].

[2] نفس السورة: الآية [187].

[3] سورة يوسف: الآية[51].

[4] سورة الواقعة: الآية[84].

والموصول هو ما لا يتم بنفسه، ويفتقر إلى كلام بعده .

وكما تنقسم الضمائر و الإشاريات بحسب الجنس والعدد فكذلك تنقسم الموصولات إلى : مؤنث ومذكر، وإلى: مفرد ومثنى وجمع.

1/ التقسيم بحسب الجنس :

_ما يراد به المذكر: الذي، اللذان (الذين في حالة النصب و الجر)، والذين، وأُلي أو الأُلي.

_ما يرد به المؤنث: التي، اللتان، (اللتين في حالة النصب و الجر)، واللائي، واللاتي، واللواتي.

_بحسب العدد.

المفرد ⟸ التي، الذي.

المثنى ⟸ اللذان والذين، اللتان واللتين.

الجمع ⟸ الذين، أولى، اللائي واللاتي، واللواتي، (و تستعمل كذلك بحذف الياء من آخرها)

وهناك " ما " و " من " اللتان تحلان محل الأسماء الموصولة مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾[1]، أي: بالذي كانوا يكذبون ، أما الثانية فمثل قولك: جاء من أكرمته أي من أكرمته.

وتأتي كذلك، أيٌّ، أل، ذو، ذا(بمعنى الأسماء الموصولة) .

فأيٌّ ، كقولنا : أيٌّ من جاءني أكرمه ⟸ الذي جاءني أكرمه .

---

1 سورة البقرة :الآية[10].

أما "أل" حتى تكون موصولة يجب أن تكون داخلة على لفظ صريح لغير تفضيل، و هو ثلاثة: اسم فاعل و اسم مفعول وصفة مشبهة [1].

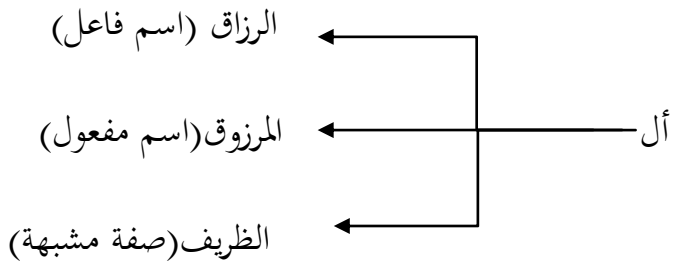

و تكون "ذو" موصولة في قول الشاعر

فإن الماء ماء أبي و جدي وبئري ذو حفرت وذو طويت [2]

أي: التي حفرت و التي "طويت" .

و أما "ذا" فهي تكون موصولة بشرط أن يتقد مها "ما "الاستفهامية نحو :(ماذا أنزل ربكم ﴾[3]

أو" من "الاستفهامية –كذلك– كقول الشاعر :

وقصيدة تأتي الملوك قريبة قد قلتها ليقال من ذا قالها [4]

ففي كلا الشاهدين لعبت "ذا" دور "الذي".

1قطر الندى و بل الصدى، ص 64.

2أورده ابن هشام في قطر الندى و بل الصدى مجهول القائل، ص64.

[3]سورة النحل: الآية[24].

[4]أورده ابن هشام في قطر الندى و بل الصدى، ص 64.

الإحالة النصية للموصولات :

عندما نتكلم عن الإحالة التي تقدمها الموصولات؛ فإنها كالإشارات ، تقدم إحالة إلى كلمة أو جملة أو نص، كما أن إحالتها تكون على غائب معلوم بالضرورة لدى المخاطب والمخاطب على السواء ، وهذا ما تختلف فيه الموصولات عن الضمائر والإشاريات.

ومن الموصولات التي أحالت على نص في القر آن الكريم قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾[1] ، فاسم الموصول "الذي" أحال إلى نص قبلي ، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾[2] ؛ إذ لعب دور الرابط الذي يربط أول الكلام بآخره، دون حاجة لإعادة القول ، وكذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾[3] ، فإن الموصولين أحالا إلى مذكورين سابقين تم تفسيرهما من خلال نص ، أما الأول فهو انبعاث ظل الغمام وإنزال المن والسلوى، وأما الثاني فهو قول بني إسرائيل لنبي الله موسى عليه السلام بأن يدعوا ربه ليخرج لهم مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها .

فهم يستبدلون الله هو أدنى بالذي هو خير لهم .

ومن الآيات التي ظهر فيها "الذي" يحيل إلى نص قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىَ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ

---

[1] سورة البقرة: الآية [59].

[2] نفس السورة: الآية[58].

[3] نفس السورة: الآية [61].

قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1]، وفي قوله: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾[2].

وفي قوله: ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾، فإن الذي أحال إلى غير موجود في النص ، وإنما هذه إحالة خارجية أحالت على الدين أو الوحي الذي جاء به محمد –صلى الله عليه و سلم– ، هذا بالنسبة لإحالة الاسم الموصول الدال على المفرد المذكر.

أما الدال على المؤنث فقد ورد في القرآن الكريم بكثرة منها قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3]؛ حيث أحالت "التي" على معنى لاحق "هي أحسن" ، ولذلك فالإحالة هنا بعدية؛ حيث جاءت الإحالة مكونة من إحالتين ؛ فالأولى في إحالة "هي" والثانية إحالة على "أحس"، وإنما الثانية قد حددت الأولى فأصبحت بذلك الإحالة مجتمعة مؤكدة مبينة للحكم الذي أراده الله تعالى.

وفي قوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾[4]، أحال اسم الموصول إلى "زينة الله " فهي إحالة قبلية ، وقد حددت هذه الزينة بصلة الموصول التي جاءت بعد الاسم الموصول، فهي زينة معلومة وطيبات موجودة بين الناس ، وإنما الحكم في إباحتها لهم وعدم

---

[1] سورة آل عمران: الآية [183].

[2] سورة البقرة : الآية [120].

[3] سورة الأنعام: الآية[152].

[4] سورة الأعراف: الآية[32].

تصريفها عنهم وتحريمها عليهم، وفي قوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾[1] ، أحال اسم موصول إحالة بعيدة "هو في بيتها" ؛ حيث إننا لا نستطيع أن نفهم جملة " وراودته " إلا بالرجوع إلى هذه الجملة، كما أن الضمير في راودته لا يفسر إلا بنفس الجملة مع اسم الموصول "التي"(التي هو في بيتها) فنفهم من ذلك أن المرأة المراودة هي زوج العزيز –المقيم عندها يوسف عليه السلام– بدلالة قول العزيز لها: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[2]وإحالة الضمير "ها" في "بيتها" لا يأتي لنا إلا من خلال هذه الآية الكريمة؛ إذ إن يوسف _عليه السلام_ عندها في البيت، والبيت بيتها، فلا تكون المراودة إلا منها –فسبحان من كلامه القرآن–.

إذن هذه الوسائل الإحالية لا تفهم إلا بفهم النص والدراية بمحيطه ، و ردّ بعضه على بعض ، حتى نصل إلا المعنى المراد دون تحريف وتكييف.

وفي قوله تعالى :﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾[3]، أحال اسم الموصول "التي" إحالة قبلية إلى (جنّات عدن) التي هي بدل من الجنة التي يدخلها التائبون، والذين آمنوا وعملوا الصالحات، وإنما مقامهم فيها "جنات عدن "، ولعبت الإحالة هنا دورا تنويهيًّا بعلو مقام الجنة وترغيبا لعباده فيها .

---

[1] سورة يوسف: الآية [23].

[2] نفس السورة: الآية[21].

[3] سورة مريم: الآية[61].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً ﴾[1] ؛ حيث المحال إليه "الجنة" جاءت بين إحالتين: أولها بعدية ، و هي إحالة ضمير الإشارة "تلك" وثانيهما قبلية ، وهي إحالة اسم موصول "التي"، وكل هذا لأجل التنويه بالجنة والإشادة لما فيها من الخيرات .

وفي قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[2]؛ حيث أحال" الذي" إحالة بعدية إلى ﴿ استجابوا .... ﴾ ,ويحيل الاسم الموصول الثاني من نفس الآية إلى ﴿ أحسنوا منهم و اتقوا أجر عظيم ﴾؛ إذ أنها إحالة متضمنة في الإحالة الأولى، فالأجر العظيم هو جزاء من أحسن و اتقى وهم من الذين استجابوا لله والرسول وهو عائد الإحالة السابقة (إحالة الاسم الموصول الأول).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾[3]؛ حيث أحال " الذين" في بداية الآية إحالة بعدية إلى الكافرين، ثم يحيل "الذين" في آخر الآية نفس الإحالة (إلى الكافرين) ؛ لأجل تأكيد الإحالة الأولى، وهذا لتبين المآل الذي يؤول إليه هؤلاء الكافرون بسبب أعمالهم التي يصدون بها عن سبيل الله.

وفي آخر سورة "الأنفال" تأتي آيات متوجة باسم الموصول " الذين" لها إحالات مختلفة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ

---

[1] نفس السورة: الآية[63].

[2] سورة آل عمران: الآية [172].

[3] سورة الأنفال: الآية[36].

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ والَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1]، إن المتأمل في هذه الآيات الكريمات يجد بينها تعلقا شديدا ؛ حيث إن الموضوع العام لها هو الولاية و لمن تكون ؟ فكان لزاما أن يظهر كل صنف من الأصناف التي نزل القرآن بين ظهرانيهم، وهي كالتالي :

1/ المؤمنون المهاجرون و المجاهدون

2/ المؤمنون الآوون و الناصرون .

3/ المؤمنون غير المهاجرين.

4/ الكافرون.

5/ المؤمنون المهاجرون و المجاهدون من بعد .

فهؤلاء الأصناف الخمسة كلها قد أحيل إليها بـ "الذين"، وهي أصناف متقابلة؛ حيث:

المؤمنون المهاجرون و المجاهدون ـــــــــــــــــــــــــــــــ يقابل 5.3.2

[1] نفس السورة: الآيات[71، 72، 73، 74، 75،]

والكافرون ⟸ يقابل 5.3.2.1

كما أن هناك إحالة قد وردت مرتين نؤثر أن نسميها إحالة تكرارية , وهي الإحالة التي تعود إلى 1 و 2 وهذا لأجل التوكيد وبلوغ الغاية في المدح .

وهكذا تحيل الموصولات إحالة قبلية، أو بعدية عائدة على صلتها، ليتم من خلالها توضع المعاني وفق الكيفية التي أرادها المتكلم حتى يصل المعنى للمتلقي .

وصلة الموصول_ كما أجمع عليه النحاة _هي شفرة الموصول وحقيقته «فمنزلة "الذي" ونحوه من الموصولات وحده منزلة حرف من الكلمة ، من حيث كان لا يفهم معناه إلا بضم ما بعده إليه، فصار لذلك من مقدماته، ولذلك كان الموصول مبنيا ، فالموصول وحده اسم ناقص، أي: ناقص الدلالة، فإذا جئت بالصلة؛ قيل: موصول حينئذ » [1].

وبقي أن ننبه على أنه قد تأتي الأسماء الموصولة على شكل ضمائر إشارة ، وهو مذهب كوفي استدلوا عليه بثلاثة شواهد من القرآن الكريم[2].

أما **الشاهد الأول،** فهو قوله تعالى:﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾[3] أي: (أنتم الذين ...)

---

[1] شرح المفصل، 388/2.

[2] ينظر: كمال الدين أبي البركات عبد الرحمان بن أبي سعيد الأنباري(ت577هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين،تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع _القاهرة_، د ط، د ت، المسألة 103.

[3] سورة البقرة: الآية [85].

و**الثاني** قوله تعالى:﴿ هَاأَنتُمْ هَؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[1]، والتقدير: (هَاأَنتُمْ الذين ...).

و**الآخر** قوله تعالى:﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾[2]، والتقدير: (ما تلك بيمينك ...)

وإذا تأملنا هذه الشواهد فرط تأمل فإننا نجد أن القيمة الإحالية التي تقدمها الأسماء الموصولة لا تساوي القيمة الاحالية لضمائر الإشارة، ذلك من ثلاثة أوجه.

الوجه الأول: أن الأسماء الموصولة نحيل بها إلى الغائب فقط ، وإذا كان الأمر كذلك فإن قاعدة الكوفيين غير مطردة مع بقية ضمائر الإشارة ، إذ لو كان الأمر كذلك لوجدناه مستعملا في كلام العرب.

الوجه الثاني : أن ضمائر الإشارة قد تشير للبعيد، وهذا ما لا نجده في الموصولات.

الوجه الثالث : المعنى الذي تقدمه الإشاريات ليس كمثل المعنى الذي تقدمه الموصولات؛ لأن الإشاريات قد تقدم في بعض الأحيان معنا توكيديًّا نفتقده في الموصولات ، وهذه الآيات [3] تعضد مذهبنا، إذ لو قرأناها من دون ضمائر الإشارة لما تغير المعنى، و إنما كان المعنى بها مؤكدا ، ومسعفا لها بلاغيا.

---

[1] سورة النساء: الآية[109].

[2] سورة طه: الآية [17].

[3] الآيات التي قدمها الكوفيون كشواهد.

د/ أسماء التفضيل:

ويسميها النحاة (أفعل التفضيل) ، و هي تعرف عادة بأنها الصفة الدالة على المشاركة وزيادة [1] أو هي ما اشتق من فعل لموصوف بزيادة على غيره [2] .

مثال، أحسن، أقوى، أنفع، نقول: أسماء أحسن أخلاقا من صفية .. (1)

محرك الشاحنة أقوى محرك .....(2)

كتاب الله أنفع الكتب .....(3)

وقد أكد النحاة أن لأفعل التفضيل ثلاث حالات، في حين أنه يبنى من ثلاثي مجرد، جاء منه فعل تام، غير لازم للنفي متصرف قابل معناه للكثرة[3].

أما **الحالة الأولى** : مجردا من (أل) والإضافة ،كما في (1)، وكما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا ﴾[4]، وقوله أيضا: ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾[5].

---

[1] قطر الندي وبل الصدى، ص161.

[2] شرح الرضي على الكافية، 447/3.

[3] المصدر نفسه، 447/3.

[4] سورة يوسف: الآية[8].

[5] سورة التوبة: الآية[24] .

والمتأمل لأسماء التفضيل في الأمثلة السابقة ، يلاحظ أنها مذكّرة ومفردة؛ برغم أن في الآيتين الكريمتين مثنى، و جمع على التوالي، فلو كان جائزا أن نثنيه لكان: (يوسف و أخوه أحبا) لأنهما: اثنان، و كذلك – في الآية الثانية جاءت "أحب" مفردة من غير جمع.

كما يلاحظ أن المفضول مسبوق بأداة الجر "من"؛ فهي التي تعطي معنى التفضيل لاسم التفضيل.

الحالة الثانية: مضافا إلى نكرة مثل(2)ومثل قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1] وفي قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾؛ حيث جاء اسم التفضيل في (2)وفي الآيتين السابقتين مضافا لنكرة ، وكان واجبا أن يأتي اسم التفضيل مفردا مذكرا لما هو جارٍ عليه كلام الله تعالى.

الحالة الثالثة: مضافا إلى معرفة مثل(3)، وفي قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾[2]، وفي قوله تعالى: ﴿ مَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾[3]، جاء في الأمثلة السابقة " أنفع مفرد

أكابر ← جمع

أراذل ←جمع

فكان في الآيتين الكريمتين اسم التفضيل مطابقا لموصوفه، و_كذلك_ في (3) ولم يكن كذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ﴾[1].

---

[1] سورة آل عمران: الآية [110].

[2] سورة التين: الآية[4].

[3] سورة هود: الآية [27].

خلاصة: إذا كان اسم التفضيل مضافا إلى معرفة فإنه تجوز المطابقة بينه وبين موصوفه و عدمها؛ لأن كتاب الله قد حوي الأمرين معا .

الوظيفة الإحالية لأسماء التفضيل :

تأتي أسماء التفضيل عادة من أجل المقارنة بين شيئين اثنين كقوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾[2]، أو بين معنيين متضاربين ، نفهمهما من خلال السياق مثال _ذلك _قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءكُمْ﴾[3] فهذا الذي جادل به النبي _ صلى الله عليه و سلم _ قومه و جاءهم به هو الدين الإسلامي بمدلوله الواسع بما فيه القرآن الكريم ، وهو لا ريب أهدى من دين الكفار، ودين آبائهم .

أوتأتي أسماء التفضيل لأجل تغليب صفة على صفة أخرى مضاهية لها كقوله تعالى : ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾[4]، ولها أشكال عديدة ... ، ومنها نفهم المقارنة ونستحضر بذكرها شيئين اثنين في أذهاننا، وإلا فإن المقارنة لا تتم، ولا ستتحقق في أذهاننا.

وسوف نعرض في هذا المقام لإحالة بعض أسماء التفضيل في الذكر الحكيم بمراعاتنا للحالات التي ذكرناها سابقا .

1/إحالة اسم التفضيل المجرد من أل و الإضافة :

---

[1] سورة البقرة: الآية[96].

[2] سورة الضحى: الآية [4].

[3] سورة الزخرف: الآية[24].

[4] سورة البقرة: الآية[91].

قال تعالى: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى ﴾[1] أحال اسم التفضيل إحالة قبلية إلى الضمير في "أيُّنا"، فكان موقع هذه الإحالة لأجل تمييز الشّدة التي توعد بها فرعون قوم موسى – عليه السلام – ، بعدما أنذره موسى عذابا من عند الله سبحانه وتعالى ، فأبى واستكبر لثقته العمياء في طغيانه وجبروته ظنا منه بأنه أقوى ممن يُتحدى.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾[2] أحال اسم التفضيل "أشد" في هذا المقام إحالة قبلية إلى عذاب و هو تحذير من الله – جلا و علا – لعباده من كون أن عذاب الآخرة أشدّ من عذاب الدنيا الذي أورثه الله لعباده المعرضين عن ذكره ، وهو المعيشة الضنك، وشتّان بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة – نجانا الله منه – .

وفي قوله تعالى: ﴿فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[3] ورد في بداية هذه الآية استفهام من الله – جلا و علا – كيف على المؤمنين أن لا يقاتلوا المشركين وقد أخرجوا – رسولهم صلى الله عليه و سلم – من مكانه الذي تربى فيه ؟!، و هم قد بدؤوهم بالقتال أول مرة.

ثم يكون الاستفهام الثاني: "أتخشونهم؟!" ليكون الجواب من الله تعالى ، أن الخشية حق له عباده المؤمنين دون أن تكون لعباده المخلوقين ، ومن هنا نفهم إحالة اسم التفضيل "أحق" الذي أحال إلى لفظ الجلالة "الله" الذي يتفرد بالخشية والعبودية .

---

[1] سورة طه: الآية [71].

[2] نفس السورة. الآية [127].

[3] سورة التوبة: الآية[13].

وقال تعالى: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾[1] أحال اسم التفضيل "خير" إلى "الباقيات الصالحات"، وهي إحالة قبلية يقتضي أن نعود للوراء لأجل أن نعرف هذه الباقيات الصالحات خير ممّن ؟ .

يجيبنا القرآن الكريم بأن: (المال و البنون زينة الحياة الدنيا) وهو تقرير من الله تعالى بأن: المال والأولاد زينة لنا في حياتنا الدنيا ، ولكن هناك شيء خير من أولئك ، وهو الباقيات الصالحات التي هي ملاذ عباد الله الصالحين عند ربهم ، والثواب الحسن من رب العالمين ، هو جزاء الباقيات الصالحات ، فلذلك اقترنت تلك الخيرية بهذا الثواب الجزيل ، ثم يأتي اسم التفضيل الثاني: (و خير أملا) لأجل إضافة معنا توكيدياً ، وهو يقدم نفس الإحالة إلى الباقيات الصالحات ، ولكن هذه المرة ليس الثواب و إنما الأمل الذي هو خير من الأمل في الحصول على الأموال و البنين ، لأن أمل الدنيا زائل بزوالها، و أمل الآخرة يدوم بسبب الأعمال الصالحة ، فأمله لا ينتهي بزوال الدنيا ، فهو واقع مءاش في دار المكرمة ...

2/ إحالة اسم التفضيل المضاف لنكرة :

يأتي اسم التفضيل مضافا لأسماء نكرة؛ لأجل إزالة الإبهام الذي يكتنف المعنى من دون إضافة ، فقوله تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[2] أضيف اسم التفضيل "خير" لأمة؛ لأن أمة محمد _صلى الله عليه و سلم _ خير الأمم على الإطلاق ، فجملة "خير أمة " تنبئنا أن المخصص بالخطاب هو الأمة بكاملها ، فالمفضل عليه "أمة" والتذكير ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾

[1] سورة الكهف: الآية [46].
[2] سورة آل عمران: الآية[110].

ولذلك فإحالة اسم التفضيل في هذه الآية عائدة إلى محذوف يقدر بالرجوع إلى المفضل عليه وفي قوله تعالى: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴾[1] فاسم التفضل "شر" تحيلنا إلى محذوف مقدر على حسب الإضافة التي عرّفت اسم التفضيل، إذ لولا هذه الإضافة لما تبيّن معنى "شر" فهي تحمل معانيَ شتى، وبما أضيف لها تبين أن الطاغين مرجعهم شر لهم، فهم يجاورون جهنم ولبئس المهاد .

وقال تعالى:﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[2]، أحال "أحسن" على تقدير المحذوف والتقدير ﴿لقد خلقنا الإنسان في تقويم أحسن تقويم ﴾.

والإضافة هي التي دلت على هذا المحذوف ، والمقارنة لا تتم إلا بوجود طرفي المقارنة ؛ والتي دلّ السياق عليها.

ج/إحالة اسم التفضيل المضاف إلى معرفة :

أشرنا_فيما سبق_ إلى أن اسم التفضيل المضاف إلى معرفة قد تجوز فيه المطابقة ، وعدمها بينه وبين موصوفة؛ لأن النحاة قد بينوا ذلك من خلال كلام الله تعالى.

ففي قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾[3] اسم تفضيل "أحرص" مضاف لمعرفة "الناس" وهو غير مطابق لمحيله من حيث الإفرادُ و الجمعُ ف : أحرص (مفرد) ، والضمير في "لتجدنهم" (جمع)، والإحالة التي أحال إليها اسم التفضيل هي إحالة قبلية يفسرها الضمير "هم" وهو محيل إلى بني إسرائيل الذين هم يحرصون على الحياة أكثر من حرص غيرهم عليها ، فالمقارنة هنا تمت

---

[1] سورة ص: الآية[55].

[2] سورة التين: الآية[4].

[3] سورة البقرة: الآية[96].

بين بني إسرائيل المعرضين عن دعوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين الناس أجمعين، وأداة المقارنة "أحرص" التي تفيد هنا الإفراط في الحب للحياة الدنيا ، وكراهية الموت، وقال تعالى: ﴿الم غُلبت الروم في أدنى الأرض ﴾[1] فإحالة اسم التفضيل "أ دنى" إنما هي إحالة بعدية عائدة إلى "الأرض" .

والتي أضيف لها اسم التفضيل، وذكر إمام التفسير **الطاهر ابن عاشور** بأن الأرض المقصودة هنا في هذه الآية الكريمة ، هي أرض الروم المتحدث عنهم واللام عوض عن المضاف إليه ، أي: في أدنى أرضهم، أو أدنى أرض الله [2]، و **قال الزمخشري** : «الأرض أرض العرب ؛ لأن الأرض المعهودة عند العرب أرضهم ، والمعنى: غلبوا في أدنى أرض العرب منهم وهي أطراف الشام ، أو أراد أرضهم، على إنابة اللام مناب المضاف إليه، أي : في أدنى أرضهم إلى عدوهم. »[3].

والتقدير في الآية و ـ الله أعلم ـ: «غلبت الروم في أرضهم أدني الأرض » ، وبهذا تكون الإحالة على محذوف يقدر بالرجوع إلى السياق .

وفي قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾[4]

والتقدير: «أولئك الذين آمنوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ».

---

[1] سورة الروم: الآيتين[2،1].

[2] ينظر: التحرير والتنوير، 41/21.

[3] جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ا لكشاف، تح: عادل أحمد عبد الموجود ، وآخرون، مكتبة العبيكان الرياض، ط1 ، 1998م، 41/4 .

4 سورة البينة: الآية[7].

وهكذا تتم الإحالة باستحضار أطراف النص ، ليجتمع المعنى في حلقات متسلسلة ، والْبَرِيَّة هم البشر كما قال أهل التفسير ، إذن الذين آمنوا وعملوا الصالحات خير البشر وأفضلهم على الإطلاق فالمفضول هنا، هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، والمفضول عليهم: هم الكافرون من أهل الكتاب والمشركين .

الفصل الثالث

التحليل البياني لتموقع الإحالة في القرآن الكريم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

توطئة :

بعد ما أنهينا الفصل الثاني، والذي عرفنا فيه الوسائل التي تأتي معها الإحالة، ها نحن نبدأ –بعون الله– في الفصل الثالث، والذي ارتأينا أن ندرس فيه الملامح البيانية للإحالة، وهذا لأننا رأينا في الكثير من المواضع في القرآن الكريم ، أن الإحالة تأخذ وجوها إعجازية لا نجدها في كلام العرب شعره ونثره ، وإنما خص بها النص القرآني بنظمه المعجز وتأليفه المحكم ،ثم إن السياق القرآني له خصوصياته التي تجعله يتميز بألوان تعبيرية، وأساليب تركيبيه يعجز معها العقل البشري وتجعله يتيقن بأن هذا الذي بين أيدينا قرآن رب العالمين ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيرا ﴾[1]، ومن هذه الوجوه التي صادفتنا في النص القرآني اجتماع الإحالتين كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[2]؛ اجتمعت إحالة ضمير المتكلم في "نزلنا"، والضمير المنفصل "نحن" برغم أنهما يدلان على مدلول واحد.

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ﴾[3]، كذلك اجتمعت إحالتان أولها إحالة ضمير الخطاب في "استويت"، والثانية إحالة ضمير المخاطب المنفصل "أنت"، وهكذا سوف نبحث في هذا الفصل – إن شاء الله – عن الملامح البلاغية التي تنشأ عن تزاوج إحالتين في موضع واحد دون تخصيص ذلك في الضمائر فقط، وإنما سنحاول توسيع الدائرة لتشمل الإشاريات، والأسماء الموصولة، وأسماء التفضيل ...

---

[1] سورة البقرة :الآية[32].

[2] سورة الحجر :الآية[9].

[3] سورة المؤمنون:الآية[28].

كما أننا سنحال ربط الإحالة ببعض الأساليب البلاغية، و خاصة التقديم و التأخير وما ينشأ عن تقديم وسيلة الإحالة و تأخيرها، وكذلك الوقف و الابتداء و ما ينجر عنهما بتغيير المعاني بسبب تغير المحال إليه ...

ثم نتكلم في آخر الفصل عن المكمن الإعجازي للإحالة في القرآن الكريم، وما يترتب عنه من حسن النظم وبراعة التأليف ...

1/ الأوجه البيانية في استعمال وسائل الإحالة :

أ/ استعمال الضمير مكررا :

ورد في القرآن الكريم الضمير مكررا كضمير التكلم فقد يكون مفردا أو جمعا للمفرد المتكلم المعظم ذاته، أما مثال الأول قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾[1] جيء بضمير الفصل "أنا" من أجل زيادة تقوية الخبر المتضمن وحدانية الله ، وتفرده بالعبادة ، ولكي لا يكون معه شك _سبحانه و تعالى _في نفس نبيه موسى _عليه السلام _ و لتتزايد قيمة المحال إليه في إحالة الضمير في " إنّني " فقد جيء به مؤكّدا منفصلا بعد ما كان متصلا ،ولأجل تربية اليقين في نفس نبي الله فقد زيد تأكيد الوحدانية بما يدفع على أن يكون له شريك في الألوهية والعبودية .

[1] سورة طه: الآية[14].

وفي قوله تعالى : ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[1]جاء ضمير الفصل في هذه الآية الكريمة ليؤكد بأن الله هو الغفور الرحيم ،ولا يوجد أحد غير الله يغفر ويرحم في آن واحد، وأما الثاني فقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2]،فقد تكرر الضمير "نحن" بعدما عبرت عنه الألف في "إنا"وذلك لتقوية الخبر وتأكيده، وهذا ردا على قول من قال: ﴿ وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[3]،ومثلما كان قولهم الكاذب مصدرا بأدوات التأكيد ،كان الرد عليهم مُؤَكَّدا بتلك الضمائر ردعا وصفعا لقولهم الكاذب، ولا يزال ضمير " الذي" يدل على ذات الله سبحانه ، يتصدر الآيات اللاحقة لهذه الآية، وهي الآيات:

[29-28-27-26-25-24-23-22-21.20.19.18.17.16.15.14.13.12]

فكل هذه الآيات قد بعثت الأنس بالله لتتيقن الأنفس أن كل شيء بتصريف الله وحكمه وقدره.

ويعز بي أن أمرّ على هذه الآيات دون تأملها فرط تأمل التماسا لسحرها الباهر، وجمالها الساحر،و ما قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾[4] إلا دليلا على هذا الجمال ورونقه في استعمال الضمير "نحن" مكرّرا يحمل دلالة تأكيد الخبر وتقويته، ليدفع الوهم

---

[1] سورة الحجر: الآية[49].

[2] نفس السورة: الآية[9].

[3] نفس السورة: الآيتين [6 ،7]

[4] نفس السورة: الآية[23].

عن من يتوهم بأن غير الله يحي ويميت، أو أن يرث الأرض أو شيئا منها؛ بل لو أننا زدنا قليلا من التأمل لوجدنا ما يفيد الإضراب في :(ونحن الوارثين)، فالله ليس يحي ويميت وفقط؛ بل الله يرث الأرض ومن عليها – والله أعلم – .

ثم إن قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾[1] تبصّرُنا ما في القرآن من عجائب تعبيرية لا تستظهر إلا لذي لب، فنسيج الضمائر بين المتكلم، والمخاطب، والغائب، في آيتين من قصار آيات القرآن ينبئنا عن تلك العجائب، و عن هذا الاتساق العجيب بين آي الذكر الحكيم .

ويأتي ضمير الخطاب "أنت" ليضيف معنى التوكيد في آيات القرآن الكريم، وقد يكون هذا الضمير متصلا بخطاب من الله لعباده ،ورسله مثل قوله تعالى لآدم _عليه السلام_: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾[2]، ومثل خطاب الله لنبيه عيسى _ عليه السلام_: ﴿وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ﴾[3]، وكخطابه لنبيه_ عليه الصلاة والسلام_: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ وَمِنهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾[4]،

---

[1] نفس السورة : الآيتين [24،25].

[2] سورة البقرة : الآية[25].

[3] سورة المائدة: الآية[116].

[4] سورة يونس: الآية[42].

وكذلك قوله: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[1] .

والقرآن الكريم يتّسع لأكثر من هذه الشّواهد، ولو بدأنا في بعض التحليل للآيات السابقة والنظر في دقة استعمال الضمير المنفصل "أنت" لوجدنا أنه يؤكد الإحالة التي يفهمها المتلقي من خلال السياق ،ففي آية سورة البقرة عَلِمْنا أن الخطاب موجه لآدم_عليه السلام_ بدلالة (قلنا يا آدم)، وإنما أُضيف الضمير "أنت"؛ لأن الجنة التي أمر الله تعالى آدم، وزوجه بسكنتها جنة مخصوصة به وزوجه فقط دون أولاده الذين لم يقدر الله لهم الميلاد داخل الجنة، و هذه الدقة انبثقت بعلم الله المسبق بخروج آدم، وزوجه من الجنة إلى الأرض بوسوسة إبليس .

أما بالنسبة لآية سورة "المائدة"، وآيتي سورة "يونس"، فإن ضمير الخطاب قد جاء متصلا بألف الاستفهام الذي غرضه التعجب .

ففي آية سورة "المائدة" أجمع المفسرون على أن خطاب الله – عز وجل – لعيسى – عليه السلام – إنما يكون يوم القيامة عندما تُعْرَضُ الأعمال والصحف، فيوجّه الله _ عز وجل _ خطابا لنبيه عيسى _ عليه السلام _ ويسأله: «أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ».

[1] نفس السورة: الآية[99].

ولو قال قائل : ما دلالة الضمير "أنت" في هذه الآية والخطاب يؤدي نفس المعنى لو حذفناه ؟؟. وحاشا أن يكون هذا الضمير زائدا؛ لأنه يحمل دلالة عظيمة تتمثل في عظم مكانة رسُل الله عند الله ، ولذلك فقد أحال إليه بالضمير الذي أفاد التعظيم وعلو مكانة نبي الله عيسى عند ربه ،ولانتفاء أن يكون مثل ذلك القول قد صدر عنه – عليه السلام – .

ومن آيتي سورة "يونس "ينبعث الخطاب الرباني لنبينا ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأجل إيناسه وتسليته والشّد على عضده ،فجاء تأكيد الضمير المتصل في "إليك" بالضمير "أنت" من الله – عز وجل – لإشعار نبينا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ بذلك التعظيم الذي يحظى به عند ربه سبحانه، وإلا فإن الإحالة التي قدمها ضمير الخطاب المتصل "ك" في " يستمعون إليك" و " ينظر إليك"، قد أبانت بأن الخطاب موجه للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وإنما قد كان إيراده مؤكدا بـ"أنت" للسبب الذي ذكرناه آنفا على سبيل الإحالة التوكيدية التي أفادت تعظيم نبينا ــ صلى الله عليه وسلم– من طرف ربه سبحانه .

ونفس المقصد ترمي إليه آية سورة يونس الأخرى؛ إذ إن الله سبحانه و تعالى قد أخبر فيها النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بحقيقة أن الإيمان مسعى لا يتحقق إلا بمشيئة الله تعالى، فخاطبه بقوله : «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ليبعث الضمير "أنت" أنسا

وطيدا في نفس سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – من بعد علمه أنه لا يملك الهداية لمن لم يهده الله .

وقد يكون الضمير "أنت" موجها من عبيد الله، وملائكته إلى الله تعالى، كمثل قوله على لسان ملائكته: ﴿قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[1] وكقول إبراهيم وإسماعيل _ عليهما السلام _: ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [2]، وكقوله تعالى على لسان عباده المؤمنين :﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾[3]، وكقوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[4].

إن الضمير" أنت "في هذه الآيات الكريمة يحمل ملمحا بلاغيا ينبعث من تكرار الإحالة التي تظهر إما بوسائلها التي عرفناها سابقا، أو من خلال المفهوم الذي يرمي إليه السياق، والعبرة التي يظ هر بها الضمير "أنت" في القرآن الكريم دالا على ذات الله سبحانه تعظيما وإجلالا له،كما يظهر من خلال هذا الضمير العموم والإطلاق في الحكم .

وقد جاء في القرآن الكريم الضمير "أنت" يحيل على رسل الله، ولكن هذه المرة بما يعبر به الله تعالى عن ما قاله عباده لرسله _عليهم الصلاة و السلام_ جميعا، ومن هذا نجده في قول

---

[1] سورة البقرة :الآية[32].
[2] نفس السورة: الآية[128].
[3] سورة آل عمران: الآية [8].
[4] سورة الزمر: الآية[46].

إخوة يوسف ليوسف – عليه السلام – :﴿قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ﴾[1]، وكقول آزر لابنه إبراهيم –عليه السلام –: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾[2]، وكقول عبدة الأصنام له حينما حطّم أصنامهم: ﴿قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾[3].

فأما آية سورة يوسف فإن ضمير الفصل جاء لأجل توكيد الإحالة المتقدمة [4]، وأما الضمير "أنت" في الآيتين الباقيتين فقد أحال على سيدنا إبراهيم – عليه السلام –، وقد عبر الله تعالى على لسان آزر بقوله: «أراغب أنت» ليدل هذا الضمير على العلاقة التي تربط الأب بابنه الذي انصرف عن اعتقاده الضلال، ولظن آزر أن ابنه قد زاغ، كانت دهشته التي عبر عنها ضمير الخطاب "أنت" ، ونفس الغرض قد لاح إليه هذا الضمير في آية سورة الأنبياء – و الله أعلم – .

ب/ اجتماع وسائل الإحالة في الموضع الواحد :

تجتمع في القرآن الكريم وسائل الإحالة في الموضع الواحد؛ لأجل تأدية مقصد بلاغي يُظهر معاني الآيات، وليس في كلام ربنا زيادة، ولو كان حرفا .

---

[1] سورة يوسف: الآية [90].

[2] سورة مريم : لآية[46].

[3] سورة الأنبياء: الآية [62].

[4] إحالة الكاف في "أئنك".

ومما اجتمعت فيه الإحالتان، قوله تعالى: ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُواْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى﴾[1] حيث أحال الله سبحانه بـ:"أولئك" إلى الذين يقولون آمنا بأفواههم ولم تأمن قلوبهم، ومما عطف عليه من أعمالهم الخبيثة، وصفاتهم الرذيلة، ثم يحال إليهم بالضمير الموصول "الذين" الذي أفاد تفردهم باشتراء الضلالة بالهدى، وهذا ما ذهب إليه رأي **الطاهر بن عاشور** حين قال : « والموصول في قوله: « الذين اشتروا» بمعنى المعرف بلام الجنس فيفيد التركيب قصر المسند على المسند إليه، وهو قصر ادعائي باعتبار أنهم بلغوا الغاية في اشتراء الضلالة والحرص عليها؛ إذ جمعوا الكفر، و السفه، و الخداع، و الإفساد، و الاستهزاء بالمهتدين »[2].

وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾[3]، جاءت الإحالة الأولى التي قدمها الموصول "الذين" تحيل إلى من آمن بالله واليوم الآخر، و هي نفس الإحالات التي قدمها العنصر "أولئك"، و الضمير في "يؤتيهم" و"أجورهم"،وهذا لعظم شأن هؤلاء المؤمنين، وعلوّ منزلتهم عند ربهم تعالى، وهذا على عكس ممن كفر بالله ورسله والذين قال فيهم ربنا جل شأنه: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً﴾[4]؛ حيث أبانت الإحالة الأولى التي قدمها العنصر الإشاري "أولئك" على إلصاق حكم

---

[1] سورة البقرة: الآية [16].

[2] التحرير والتنوير ،299/1.

[3] سورة النساء :الآية [52].

[4] نفس السورة:الآية[151].

الكفر بهم، وإنما قد أفادت الإحالة الثانية التي قدمها الضمير المنفصل "هم" على تأكيد قصر صفة الكفر عليهم [1].

ب1/ "أولئك هم" في القرآن :

كثر في القرآن الكريم استعمال هذا التركيب؛ حيث استعمل 58 مرة في سور متفرقة، و هي كالتالي :

الآية	رقمها	السورة
[أُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ]	5	البقرة
[أُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ]	27	البقرة
[فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ]	121	البقرة
[وَأُولَئِكَ هُمُ المهْتَدُونَ]	157	البقرة
[وَأُولَئِكَ هُمُ المتَّقُونَ]	177	البقرة
[فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ]	229	البقرة
[وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ]	10	آل عمران
[فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ]	82	آل عمران
[وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ]	90	آل عمران

[1] ينظر التحرير والتنوير،11/6.

[فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ]	94	آل عمران
[وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ]	104	آل عمران
[أُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ]	151	النساء
[فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ]	44	المائدة
[فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ]	45	المائدة
[فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ]	47	المائدة
[فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ]	8	الأعراف
[أُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ]	157	الأعراف
[فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ]	178	الأعراف
[أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ]	179	الأعراف
[أُولَئِكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقًّا]	4	الأنفال
[أُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ]	37	الأنفال
[آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقًّا]	74	الأنفال
[وَأُولَئِكَ هُمُ المُعْتَدُونَ]	10	التوبة
[وَأُولَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ]	20	التوبة
[فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ]	23	التوبة

[وَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ]	69	التوبة
[وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ]	88	التوبة
[وَأُولَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ]	105	النحل
[وَأُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ]	108	النحل
[فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ]	7	المؤمنون
[أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ]	10	المؤمنون
[فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ]	102	المؤمنون
[وَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ]	4	النور
[أُولَئِكَ هُمَ الظَّالِمُونَ]	50	النور
[وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ]	51	النور
[فَأُولَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ]	52	النور
[فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ]	55	النور
[أُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ]	52	العنكبوت
[وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ]	38	الرُّوم
[فَأُولَئِكَ هُمُ المضْعِفُونَ]	39	الرُّوم
[وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ]	5	لقمان

[وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ]	18	الزُّمر
[أُولَئِكَ هُمُ المتَّقُونَ]	33	الزُّمر
[اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ]	63	الزُّمر
[أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ]	7	الحجرات
[فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ]	11	الحجرات
[أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ]	15	الحجرات
[أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ]	19	الحديد
[أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ]	8	الحشر
[فَأُولَئِكَ هُمُ المفْلِحُونَ]	9	الحشر
[أُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ]	19	الحشر
[فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ]	9	الممتحنة
[فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ]	9	المنافقون
[فَأُولَئِكَ هُمُ المفْلِحُونَ]	61	التغابن
[فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ]	31	المعارج
[أُولَئِكَ هُمُ الكَفَرَةُ]	42	عبس
[أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ البَرِيَّةِ]	6	البيِّنة

[أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ]	7	البيِّنة

إن الملاحظ للتراكيب السالفة داخل زمرتها النصية يرى بأن :

1/ في أغلبها نتيجة لأوصاف سابقة .

2/ الذي يأتي بعد ضمير الفصل معرف إما **بأل** أو **الإضافة** .

3/هذا التركيب في أغلب الأحيان يتم تكريره في السورة الواحدة، وأحيانا في آيات متتابعة من السورة الواحدة .

4/ تفيد الحصر للمبالغة في الصفة السابقة للضمير المنفصل، والذي يفيد بدوره تقوية الخبر ومطابقته لموصوفه،وعدم انفصاله عنه.

5/ اجتماع الإحالتين (إحالة الإشاري، والضمير المنفصل)، إنما كانت غايته تأكيد الإحالة الأولى بالثانية؛ لأجل عدم انصراف الأذهان عن المحال إليه المخصص بذلك الحكم.

ب2 / "أولئك الذين" في القرآن :

قد ورد هذا التركيب في القرآن الكريم 28 مرة موزعة على 19 سورة،كما هو مبين في الجدول:

الآية	رقمها	السورة

[أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالهُدَى]	16	البقرة
[أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآَخِرَةِ]	86	البقرة
[أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالهُدَى وَالعَذَابَ بِالمَغْفِرَةِ]	175	البقرة
[أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ المتَّقُونَ]	177	البقرة
[أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَةِ]	22	آل عمران
[أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ]	52	النساء
[أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ]	63	النساء
[أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ]	41	المائدة
[أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا]	70	الأنعام
[أُولَئِكَ الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ]	89	الأنعام
[أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ]	90	الأنعام
[فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآَيَاتِنَا يَظْلِمُونَ]	9	الأعراف
[أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآَخِرَةِ إِلَّا النَّارُ]	16	هود
[أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ]	21	هود
[أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا]	5	الرعد
[أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ]	108	النحل

[أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ]	57	الإسراء
[أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ]	105	الكهف
[أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ]	58	مريم
[فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ]	103	المؤمنون
[أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ]	62	النور
[أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ العَذَابِ]	5	النمل
[أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ]	18	الزُّمر
[أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا]	16	الأحقاف
[أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ]	18	الأحقاف
[أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ]	16	محمد
[أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ]	23	محمد
[أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى]:	3	لحجرات

وكما يتبين لنا في الجدول فإن جمل الصلة كلها فعلية، وفي أغلبها مصدّرة بالفعل الماضي؛ لأجل أن المقصود بالإشارة قد تم معه الناتج الخبري، فهي إخبار بزمن الغائب على حدث انقضى، وبخلاف ذلك تلوح الجملة إذا كانت مصدرة بالفعل المضارع الذي يدل على الاستمرار، و التجدد في الحدث .

كما أن الإحالة التي يقدمها الضمير الموصول "الذين" هي إحالة إخبارية على الإحالة الأولى التي قدمها "أولئك" فالإحالة الثانية هي بمثابة النتيجة للإحالة الأولى .

وقد اجتمع التركيبان السابقان في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، وهي كالتالي :

ـ في قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [1].

ـ وفي قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[2].

ـ وفي قوله تعالى :﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[3].

قد تم تكرير الإحالات بضمير الإشارة، وضمير الغياب المنفصل؛ لأجل تأكيد الخبر الأول، والذي تقدمه الإحالات الأولى، وذلك بتيقُّن اتصافهم بأوصاف تحرُّ لهم أوصافا بتحقق تركيب "آولئك هم " .

- ففي الآية الأولى كان سبب التقوى اتصافهم بالصدق .
- وفي الثانية أن الغفلة سببها الطبع على القلب، والسمع ،والبصر .

---

[1] سورة البقرة: الآية [177].

[2] سورة النحل: الآية [108].

[3] سورة الزمر: الآية [18].

- وفي الثالثة أن الذي يستمع القول فيتبع أحسنه نتيجته أنه من أولي الألباب .

إذن تتم الإحالة باجتماع التركيبين السابقين بهذا الشكل.

أوصاف سابقة ⟵ أولئك الذين ⟵ نتيجة لاحقة ⟵ أولئك هم ⟵ نتيجة شاملة .

إذن :النتيجة الشاملة = النتيجة اللاحقة + الأوصاف السابقة

ب3/ "الذين هم" في القرآن :

وردت "الذين هم" في القرآن 26 مرة موزعة على 11 سورة، وهي مرتبة في الجدول التالي :

الآية	رقمها	السورة
[وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ]	156	الأعراف
[وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ]	7	يونس
[وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ]	27	هود

[إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ]	100	النحل
[إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ]	128	النحل
[ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا]	70	مريم
[الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ]	2	المؤمنون
[وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ]	3	المؤمنون
[وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ]	4	المؤمنون
[وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ]	5	المؤمنون
[وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ]	8	المؤمنون
[وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ]	9	المؤمنون
[إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ]	57	المؤمنون
[وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ]	58	المؤمنون
[وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ]	59	المؤمنون
[وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا]	19	الزُّخرف
[الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ]	11	الذاريات
[الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ]	12	لطُّور

[الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ]	23	المعارج
[وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ]	27	المعارج
[وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ]	29	المعارج
[وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ]	32	المعارج
[وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ]	33	المعارج
[وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ]	34	المعارج
[الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ]	5	الماعون
[الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ]	6	الماعون

انطلاقا من الملاحظة المتكررة للجدول يظهر لنا أن :

1/ "الذين" وصف إما للذين آمنوا أو الذين كفروا .

2/ جملة الصلة فيها الجار والمجرور متقدمان عن الخبر، وذلك للاهتمام به.

3/ الفاصلة التي ورد فيها التركيب " الذين هم " في جل الآيات تنتهي بالنون،وبهذا توافق نون "الذين" كما أن الاسم المجرور في أغلب ما ورد في آيات الجدول السابقة يلحقه الضمير "هم"وبهذا تنشأ الموافقة الصوتية بين أجزاء الآيات لتبعث سحرها في الآذان، وأنسها في القلوب، وحلاوتها على مر الأزمان .

4/ إحالة "الذين هم " تأتي في حالة الوصف، وذلك إما قبل إصدار الحكم أو قبله فمثلا في سورة "المؤمنون" كان إصدار الحكم أولا، و ذلك بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1] ثم جاءت بعد ذلك الأوصاف متتالية، وكذلك في سورة الماعون حيث تقدم الحكم في قوله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾[2]، ثم تلت بعد ذلك الأوصاف التي يستحقون عليها الويل .

5/ تقدم "هم" على "الذين" في آيتين من القرآن الكريم، وهما قوله: ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ﴾[4]، وهذا لأن هذين الآيتين تحملان من الخبر ما هو محتاج للانتباه إليه، فكان التعبير "هم الذين" يشدّ الأسماع، ويستحضر القلوب لأمر بلغ غاية الاهتمام.

ج/ صور في استخدام الضمير الإحالي :

يظهر لنا في الكثير من المواضع في النص القرآني استخدام ضمائر إحالية ذات إحالة واحدة ، وهذا بين الإفراد ، والمثنى ،والجمع، أو بين المخاطب، والغائب أو بين الحاضر، والغائب .

---

[1] سورة المؤمنون: الآية[1].

[2] سورة الماعون: الآية[1].

[3] سورة الفتح: الآية[1].

[4] سورة المنافقون: الآية[7].

وذلك لما تلوح إليه من مقاصد بلاغية تحرّى البلاغيون بعض جمالياتها من خلال مبحث الالتفات الذي يحوي هذه الظاهرة، والتي كثر استخدامها في القرآن الكريم.

والالتفات مبحث شامل يخص التّحول بين صيغ الاسم، و صيغ الأفعال، وبين الضمائر بأنواعها الثلاثة (ضمائر الأشخاص، و الإشاريات ،و الموصولات) [1]، والذي يخصنا في هذا المبحث هو الالتفات من طريق الضمائر؛ حيث إنه يتم الانتقال من ضمير إلى ضمير أي: من إحالة ضمير إلى إحالة آخر لأداء أغراض بيانية سنحاول بحثها – إن شاء الله – من خلال خمس صور للالتفات في القرآن الكريم.

و هي[2] :

ج1/ بين الغيبة و الخطاب :

قد ورد في القرآن الكريم في الكثير من المواضع ما يتكلم فيه بصيغة الغائب ثم ينتقل إلى المخاطب من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[3]؛ حيث انتقل من إحالة ضمير الغياب في "صلاتهم"، وهي إحالة

---

[1] تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1994م، ص109 ،110.وقد ذكر التقسيم أعلاه ،اعتمادا على النظرة الفاحصة، والتذوق السليم لمعاني العربة .

[2] هي نفسها الصور التي ذكرها حسن طبل في كتابه "أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية" ، دار الفكر، القاهرة، ط د 1998م ، ص104.

[3] سورة الأنفال: الآية[35].

إلى "الذين كفروا "في الآيات التي قبلها إلى الإحالة نفسها ، ولكن هذه المرة عبّر عنها ضمير الخطاب في "فذوقوا" فما المقصد الذي انتقل به من الغيبة إلى الخطاب ؟.

إن نظرة فاحصة في التفسير الذي آلت إليه هذه الآية الكريمة تومئنا بذلك الملمح البلاغي.

فما فعله الذين كفروا من أعمال خبيثة كمكرهم بالنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ واستهزائهم بكلام الله تعالى و إعراضهم عنه ...، وطلبهم للعذاب بظنّهم الزّائغ، ورأيهم الفارغ ،جعل عذاب ربي يتمطّاهم، يوم نزلت النائحة بهم ، واشتعلت النار حولهم، فانهارت قواهم ،وعميت رؤاهم، وضعفت خطاهم، فسّاقطوا إلى الأرض كأوراق الشجر ، لتعبث بهم رمال الصحراء، و هواربها .

وما بقي لمن بقي حيا منهم إلا المكبّلين بأغلال المسلمين،ذلك هو يوم بدر، وما أدراك مايوم بدر، هنالك التفت إليهم ربي فقال: «فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون »فكان غرض هذا الالتفات التوبيخ والتشنيع عليهم، ومعاقبتهم لما هم فيه من الكفر والعصيان.

ومن ذلك – كذلك- قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ

وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.[1]

لقد عدل الله سبحانه وتعالى من الخطاب إلى الغيبة في هذه الآية الكريمة؛ حيث خاطب الإلاه الكريم عباده بالنعمة التي هم فيها، وذلك مما أفاء عليهم من نعم السير في البر و البحر ،ومما هداهم إليه من وسائل تعينهم عليه فيوفر بها جهدهم،وهذا ما تجرّنا إليه الإحالة في "يسيّركم" و"كنتم"، وهي إحالة خارجية تحيل إلى ما هو خارج النص، وتجلّى لنا مقصدا هو: رفق و رحمة ربنا بنا .

ثم يستقل الخطاب القرآني إلى استعمال ضمير الغائب الذي يحيل إلى المشركين بعدما أدخلهم في ضمير المخاطب، وهذا إنما لإعراضهم، وتوبيخهم، وزجرهم عمّا هم فيه من الزّيغ، والضلال .

ج2/ بين التكلم و الغيبة :

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفاً مَّحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[2]؛ حيث أحال الضمير في "جعلنا" إلى ذاته سبحانه و تعالى،وهي إحالة خارجية تحيل إلى ما هو خارج النص؛ إذ إننا نعلم أن هذا القرآن

[1] سورة يونس: الآية[22].

[2] سورة الأنبياء :الآيتين [31،32].

الكريم هو كلام الله، ومن ثمَّ ضمير الجمع "نا" متعلق به _سبحانه وتعالى_ وتتواصل إحالة هذا الضمير وهي في كل مرة تلحق الفعل "جعل" وذلك للتعظيم، ثم تتغير الإحالة في قوله تعالى: «و هو الذي خلق الليل و النهار » وهذا من إحالة الضمير "نا" إلى "هو" المحيل إلى الله تعالى ، وهي إحالة خارجية – كذلك – تنبع من إيماننا المطلق بخلقه الليل والنهار ، والشمس والقمر.

ثم إن الإحالة التي يقدمها الضمير الغائب في "بهم" و"لعلهم" ، والمنفصل "هم" تعود إلى الكافرين، الذين لم يؤمنوا بنبوة هذا النبي الأمي – صلى الله عليه و سلم – .

والذي يفسر لنا ذلك قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾[1]، وإعراض خطاب الله _سبحانه وتعالى_ للكافرين، إنما هو لكفرهم، وتعنتهم وإصرارهم على محاربة الله ورسوله، فكذلك قد أعرض الله عن كلامهم وخطابهم؛ لأن في ذلك إذلالا لهم وتحطيما لكبريائهم بعكس أنه لو خاطبهم، ولله العزة جميعا .

[1] نفس سورة :الآية[30].

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾[1].

انطلقت الآية بتقرير حقيقة أن المتقين يكافئهم ربهم بجنات ونعيم حتى إنه من قوة النعمة وآثار الرحمة بهم أن الله تعالى قد ألصق الضمير الغائب "هم" باسمه الأعظم وبجزاءين من عظيم جزائه .

والإحالة بضمير الغائب إلى هؤلاء المتقين إنما هي للتكريم، وإبلاغ عن ما هم فيه من الخير العميم.

فبعد ما أحال إليهم ربهم بضمير الغائب التفت من ذلك، وقال: ﴿كلوا و اشربوا هنيئا بما كنتم تعملون﴾وهذا الخطاب منه سبحانه في غاية الإحسان والتكريم لهم.

ثم لما كان تعالى في مقام الإخبار عنهم أحال إليهم بضمير الغائب في "زوجناهم" لتشويقهم وزيادتهم الخير بعدما ظفروا به .

وبهذا التعبير الدقيق، والنّسق العجيب، يُبعث في أنفس عباد الله التسابق نحو رحمة الله وجناته التي أعدها للمتقين .

[1] سورة الطور :الآيات[20.19.18.17].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً ﴾[1] .

لقد التفت الله تعالى في هذه الآية الكريمة من إحالة ضمير الغائب المنفصل في بداية الآية إلى إحالة ضمير المتكلم المعظم نفسه في "أنزلنا"، وهذا لامتنان ربنا بما أنعم على عباده فه و لم يرسل الرياح جزافا، وإنما إرسالها كان له المقصد، وهو إنزال المطر .

ومن ثم إحياء الأرض بعد موتها ،وإسقاءه جميع مخلوقاته ، وقد نبه **"حسن طبل"** إلى المقصد من هذا الالتفات، أنه الجانب المحسوس في نعمة إنزال الماء هو مناط هذا اللّفت، و مدار عبرته في هذا الموطن ومما يؤيده نظرته [2] .

ـ وصف الماء في الأولى بكونه (طهورا) فمعلوم أن طهارة الماء هي صيغة محسوسة فيه يستدل على عكسها برؤية لونه أو تذوق طعمه أو شم رائحته .

ـ وصف الأنعام والأناسي في الآية الكريمة الثانية بكونهم (شرا) ؛ إذ من المعلوم أن جميع الناس – لا أكثرهم – يسقون الماء ، و مغزى ذلك أن المراد في الآية هم تلك الطوائف التي حرمت نعمة الماء في الأرض فعاشت حياتها على هذا الماء النازل من السماء، تترقبه في تطلع ، وتأمل مشهد نزوله في لهفة .

ج3/ إحالة ضمير المثنى على الجمع :

---

[1] سورة الفرقان : الآيتين [48،49].

[2] ينظر : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية،ص116.

قد ورد في القرآن الكريم الضمير الدال على الاثنين دالا على الجمع ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُواْ بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا ﴾[1]، سياق الآية والآيات السابقة لها إنما موضوعه الشهادة وأحكامها في الشّرع، والإحالة التي يقدمها الضمير في "ي أتوا" ظاهر على أنها إلى جماعة ، وإذا عدنا إلى ما هو سابق على هذه الآية وجدنا أن ما يحيل إليه هذا الضمير إنما هو اثنان وليس جماعة .

فما هو المقصد في استعمال هكذا تعبير ؟!

ذكر صاحب **البحر المحيط** : «أن الضمير جُمعَ في "يأتوا"وما بعده؛ لأنه عائد إلى الشاهدين باعتبار الصنف، والنوع، وقيل: « لا يعود إلى كليهما بخصوصيتهما بل إلى الناس الشهود »، وتقديره ذلك: أدنى أن لا يحذر الناس الخيانة فيشهدوا بالحق خوف الفضيحة في رد اليمين على المدعي»[2].

أما **الطاهر بن عاشور** فقد أوحى إلى أن الضمير عائد إلى الشهداء وهم : «الآخران من غيركم، والآخران اللّذان يقومان مقامهما، أي: أن تأتي كلّ واحد منهم لجمع الضّمير على إرادة التوزيع »[3].

---

[1] سورة المائدة : الآية [108].

[2] ينظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط ،تح:الشيخ عادل أبي محمد عبد الموجود،والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ،ط1،1993م، 51/4.

[3] التحرير والتنوير ، 92/7.

والأدعى إلى استعمال ضمير الجمع بين هؤلاء الشهود هو كونهم أنّ الحق يظهر بعد الاستماع بشهاداتهم كاملة، فعندئذ يحصل الصدق و يبطل الزور والخيانة – والله أعلم – .

وقال تعالى : ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾[1]، إن المتأمل لهذه الآية يجد أن الله تعالى قد خاطب الاثنين في بدايتها، ثم انتقل إلى خطاب الجماعة، والمخصوص بالخطاب اثنان.

قال **الزمخشري** :«لما كان آدم و حواء – عليهما السلام – أصلي البشر والتبيين اللذين منهما نشئوا أو تفرعوا: جعلا كأنهما البشر أنفسهما، فخوطبا مخاطبتهم فقيل: "فإما يأتينكم" »[2]،وقال **أبو حيان الاندلسي**: «و الضمير في بعضكم لبعض ضمير جمع قيل يريد إبليس وبنيه، وآدم و بنيه، وقيل أراد آدم و ذريته، فالعداوة واقعة بينهم والبغضاء لاختلاف الأديان وتشتت الآراء » [3].

وأما **الطّاهر بن عاشور** فقد ذهب إلى أنّ: «المأمور بالهبوط من الجنّة آدم و إبليس وأما حواء فتبع لزوجها، والخطاب في قوله "بعضكم" خطاب لآدم و إبليس، وخوطبا بضمير الجمع؛ لأنه أريد عداوة نسليهما، فإنهما أصلان لنوعين: نوع الإنسان ونوع الشيطان »[4] .

---

[1] سورة طه : الآية [123].

[2] الكشاف ، 117/4.

[3] البحر المحيط ،265/6.

[4] التحرير والتنوير، 328/16.

إذن الخلاف واقع بين المفسرين حول إحالة ألف الاثنين، ففريق ذهب إلى أنها تعود إلى آدم و حواء، و فريق ذهب إلى أنها عائدة إلى آدم و إبليس .

وإذا عدنا إلى السياق يظهر لنا و – الله أعلم – أنها عائدة إلى آدم و حواء؛ إذ إن إبليس غير مخصص في هذا الموضع بالخطاب .

والخطيئة التي ارتكبها آدم وزوجه اقتضت أن يدخلهما في الضمير كون أن الخطاب كان موجها لهما قبل هذه الآية .

ثم إن إبليس هابط لا محالة من الجنة؛ لأ نّه توعَّدَ بغواية آدم – عليه السلام – و ذريته وذهب المفسرون إلى أن "جميعا" من قوله :«اهبطا منها جميعا » حال من الضمير في "اهبطا" لذلك فإن "جميعا" يدخل فيها آدم وزوجه و إبليس؛ لأنّه في قوله: « بعضكم لبعض عدو » هي إحالة إلى آدم وزوجه وإبليس ، وإنما هما البشر بما في ذلك ذريتهما، وإبليس يمثل الجنس الثاني، ولذلك يخوّل لنا إدخال إبليس في كلمة " جميعا " .

وفي قوله تعالى : ﴿ فإما يأتينكم مني هدى ﴾ هذا الخطاب موجه إلى آدم – عليه السلام – وزوجه و خاطبهم بما تخاطَبُ به الجماعة، إشارة بذريته التي ستولد، إذ لا يعقل أن يكون إبليس داخل معهم في الخطاب وقد كان منه ما كان من عدم سجوده لآدم بعد إذ أمره الله تعالى، فالشر مربوط به وليس بمصروف عنه .

ج4/ التنوع في إحالة الضمير الغائب :

مما هو ملاحظ في تراكيب القرآن الكريم، أن إحالة الضمير الغائب – في كثير من الأحيان تعود على مسميات لها علاقاتها بالتراكيب من طريق التأويل: ومن ذلك قوله تعالى : ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[1] .

إحالة ضمير الغائب في "عنها" تحتمل تفسيران : إما أنها عائدة إلى الشجرة بحكم أنها الأقرب للضمير، أو أنها عائدة إلى الجنة، كون أن الجنة أعم من الشجرة ومبتغى الشيطان أنه يخرج آدم – عليه السلام- وزوجه من الجنة، وإنما الأكل من الشجرة هو سبب في ذلك الخروج، فالإزلال يكون عن الجنة، وكلا التفسيرين وارد – والله أعلم – .

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾[2]، إنّ القارئ لهذه الآية الكريمة يترقّى فكره إلى فهم ما يحيل إليه الضمير في "به".

إن السياق يفرض علينا أن نقول : إن الإحالة تعود إلى "الكتاب" بحكم أنه موضوع الآية، ثم إنه أقرب مذكور للضمير .

وقيل: أن الضمير في " به " عائد إلى الرسول – صلى الله عليه و سلم –، كما أنه قيل : بأنه عائد إلى الله تعالى، وفي كلا الأمرين التفات، و قيل كذلك: بأنه عائد إلى الهدى المذكور في الآية قبلها ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى﴾[3]، وهذا تكلف في التأويل يتنافى مع روح

---

[1] سورة البقرة :الآية [36].

[2] نفس السورة : الآية 121].

[3] نفس السورة : الآية [122].

النص ومناسقإحالاته؛ إذ أن ضمير الغائب فيما سبق جاء يحيلنا إلى الكتاب، فأنَّى لنا أن نخرج الضمير في"به"من هذه الإحالة دون وجود قرينة صارفة ؟ .

وفي قوله تعالى: ﴿ أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[1] الضمير في "لها" يحيل إلى "الخيرات "بحكم أنه المذكر الوحيد في الآية، وكذلك السياق يدل على هذا، فمن أسرع وتسارع إلى فعل الخيرات سَبَقَ إليها.

وتأوّل قوم ما يوافق الضمير في "لها"، وذكروا بأنه عائد إلى الجنة أو الأمم [2].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾[3] .

إن المتأمل في هذه الآية والمتمعن لها ، يجد من الدقة التعبيرية الخارقة ما يُعْجزُ البشر على مجارات القرآن، أو حتى الإتيان بأقصر آية من مثله .

فمن الدقة التي نلحظها في الآية في استعمال اسم التفضيل "خير" فقال: « ثواب الله خير» فما يحيل عليه اسم التفضيل هو : "ثواب الله " ، وأسماء التفضيل هي أدوات للمقارنة فأين الطرف الآخر في المقارنة ؟!.

---

[1] سورة المؤمنون: الآية [61].

[2] ينظر:البحر المحيط ،379/6.

[3] سورة القصص: الآية [80].

لو رجعنا إلى الآية المتقدمة لوجدنا الإجابة في قوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[1]، فما قاله الذين يريدون الحياة الدنيا أنهم قالوا: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون وما أوتي قارون حتى يتمنوا مثل ما أوتي ؟!.

إن الذي أوتيَهُ قارون قد بينه القرآن في نفس السورة في قوله: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾[2] فتلك الكنوز التي أوتيها قارون أصبح الذين آمنوا من قوم موسى يتمنونها .

و من هذا يتبين لنا وجه المقارنة فيكون المعنى: ويلكم ثواب الله خير من كنوز قارون لم آمن و عمل صالحا.

وإذا عدنا إلى إحالة الضمير في " يلقاها" نجد عدة تأويلات من جمهور المفسرين فقد تأولوها "الكلمة" التي تكلم بها العلماء، و تأولوها "الثواب"وقيل: «معنى المثوبة أو الجنة » أو للسيرة و الطريقة [3]، والذي يظهر – والله أعلم – أنها المثوبة ؛ لأن السياق هو الذي يفرض علينا هذا الرأي .

---

[1] نفس السور: الآية [79].

[2] نفس السورة : الآية [76].

[3] ينظر:الكشاف ،4/526،525.

وأما إن كانت اعتراضا من الله تعالى، فالإحالة تعود إلى " التذكرة" لكون أن الذين أوتوا العلم لم يلتفتوا لما يملك قارون، فلقوهم هذا يظهر أنهم صابرون، فمدحهم الله ربهم بما هم أهل له.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾[1] أجمع المفسرون أن إحالة ضمير الغائب في "إنه" عائدة إلى" القرآن، ولم يتقدم له ذكر في السورة إلا أن السياق يدل على أنه القرآن، ذلك أنه قول فصل يفصل فيه بين الحق و الباطل [2] .

ومن جملة ما وضحه القرآن في هذه السورة، هو كيفية خلق الإنسان، و دقة صنعه و حكمة خلقه، ومقدرة رده، والذي يخبر بهذه الحقائق، و يفصل فيها لا بد أنه فصل يفصل فيها قد يكون وما هو كائن و ما هو ليس بكائن .

والآيات التي اختلف في معانيها أو تأويلها كثيرة نكتفي بهذا القدر منها، ومن أسباب الاختلاف كما رأينا عائدُ الضمير، أو الإحالة التي يقدمها الضمير .

ج5/ إحالة ضمير المفرد على اثنان :

من ذلك قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا ﴾[1] لو أخذنا بقاعدة النحاة لقلنا

[1] سورة الطارق :الآيتين [11،12].
[2] ينظر: الكشاف،355/6.

:بأن الضمير في "جعلناه" عائد إلى الإيمان ؛ لأنه هو الأقرب، وإذا راعينا السياق وجدنا الأنسب أن يكون عوده إلى "الكتاب "فهو النور الذي يهدي به الله من يشاء، وقيل: يعود إلى الكتاب ، والإيمان معا؛ لأن مقصدهما واحد [2].

وقال تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾[3]، قال أبو حيان : «والضمير في "يتسنه "مفرد فيحتمل أن يكون عائد ا على الشراب خاصة، ويكون قد حذف مثل هذه الجملة الحالية من الطعام لدلالة ما بعده عليه، ويحتمل أن يكون الطعام و الشراب أفرد ضميرهما لكونهما متلازمين، فعوملا معاملة المفرد، أو لكونهما في معنى الغذاء، فكأنه قيل: وانظر إلى غذائك لم يتسنه»[4].

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ ﴾[5] وقوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[6] وقوله:

---

[1] سورة الشورى:الآية [52].

[2] ينظر:البحر المحيط ،505/7.

[3] سورة البقرة : الآية [259].

[4] البحر المحيط ،304/2.

[5] سورة الأنفال: الآية[20].

[6] نفس السورة: الآية[24].

﴿يَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾[1]، وقوله: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾[2].

ففي هذه الآيات الكريمة قد أفرد الضمير المحيل إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – برغم أنه قد عطف على لفظ الجلالة، مما يفسر أن عودة الإحالة مختصة بالله _عز وجل _ وبرسوله الكريم، ذلك أن أمر الله من أمر نبيه.

2/الوقف والابتداء و متغيّرات الإحالة :

الحلية التي يتوسمها قارئ القرآن أن يقرأه وفق معانيه التي قد أرادها الله تعالى له دون زيادة أو نقصان.

وحتى يتأتى ذلك وجب على التالي (القارئ)أن يعي مدار الوقف والابتداء، وما يرتبط عنهما من معاني تُستجمع عند هذا الوقف أو ذاك،شريطة أن يتوافق المعنى ومراد الله تعالى.

ومنه فعلم الوقف والابتداء علم له أثره في حسن التلاوة ، وجودة القراءة فهو:«حلية التلاوة، وزينة القارئ، وبلاغ التالي، وفهم للمستمع، وفخر للعالم، بل به يعرف الفرق بين المعنيين المختلفين، والنقيضين المتباينين، والحكمين المتغايرين. فبعلم الوقف والابتداء يتحقق فهم كلام الله تعالى؛ حيث لايدرك معناه إلا بذلك، فمن لم يهتم به فقد يقف قبل تمام المعنى ، ولا يصل

[1] سورة التوبة: الآية[62].
[2] سورة النور: الآية[48].

ما وقف عليه بما بعده حتى ينتهي إلى ما يصح أن يقف عنده ، فحينئذ لا يفهم خلاف المراد من كلام الله تعالى إذا وقف على غير موطن الوقف؛ إذ إن المعنى يتغير تبعا لموطن الوقف في الكلام».[1]

والإحالة المترتبة عن تغير الوقوف في القرآن كثيرة ، سوف نختار منها ما يوفي مقصدنا في إظهار وجه الجمال البلاغي الذي يرمي إليه المعنى المقصود في ذاته .

وسوف يكون اختيارنا منصبا على الوقف اللازم ، والوقف على بعض أسماء الإشارة لندرج التغير الإحالي الذي يطرأ على المعاني.

أ/ الوقف اللازم :

قال تعالى : ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[2] الوقف هنا على كلمة "آمنوا "، ولو وصلت القراءة لتغير المعنى ؛ إذ تصبح إحالة ضمير "فوقهم"محيلة إلى "الذين آمنوا"، بعدما أحالت إلى "الذين كفروا"في حالة الوقف.

ولا شك أن مضمون الآية لا يتفق مع هذا المضمون الجديد الذي غير مرجع الإحالة وأصلها، فالكافرون قد غرهم ما كسبوا في هذه الحياة الدنيا ففرحوا بها، واطمأنوا لها،

---

[1] عبد الكريم إبراهيم عوض صالح، الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم ،دار السلام، ط1، 2006م ،ص5.

[2] سورة البقرة : الآية [212].

وأخذوا يسخرون من الذين آمنوا، على أنهم خير منهم، ثم إن الذين آمنوا لم يلتفتوا لهم، بل بقوا بصبرهم صامدين لا يضرهم كيد الكائدين، ولا صخرية الصاخرين، ولذلك وصفهم الله تعالى بأنهم اتقوا، وهذا على صبرهم، وطيبة أنفسهم.

. قال تعالى : ﴿ وتِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾[1]، في هذه الآية الكريمة يعلمنا الله تعالى بأنه فضل بعض الرسل على بعض، وذلك فيما هو أعلم به منا، وما يناسب هذا أن الوقف يكون على كلمة "بعض" فإحالة الضمير في "منهم"عائدة إلى" الرسل "، ولو وصلنا القراءة يتغير مرجع الإحالة إلى "بعض"؛ بحيث يصبح الذي أكرمه الله بالتكليم من البعض الذين هم مفضل عليهم غيرهم، لا من البعض المفضل على غيرهم بالتكليم[2].

قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً﴾[3]، الوقف عند كلمة "ولد"، ولو وصلت القراءة لصار ما بعدها صفة للولد،

---

[1] نفس السورة : الآية [253].

[2] ينظر: منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، أحمد بن عبد الكريم الأشموني ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ،ط 2،دت ص62،63.

[3] سورة النساء:الآية[171].

فالضمير في "له"الثانية عند الوقف تحيل إلى الله تعالى، وأما إحالتها عند وصل القراءة فهي تحيل إلى "ولد"، ولا يمكن أن تستقيم هذه الإحالة ومراد الله تعالى.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[1]، الوقف عند كلمة "أبنائهم" لازم؛ إذ لو وصلت القراءة لتوهم أن ما بعده نعت لأبنائهم، وليس هذا المعنى المراد، وإنما الإحالة في الضمير الموصول "الذين"إما تكون راجعة إلى من آتاهم الله الكتاب فيكون "الذين آتاهم" وصف لأهل الكتاب ، أوأنها راجعة إلى مشركي قريش على تحججهم وإسرارهم على عنادهم، فيصبح ذلك إخبارا عنهم [2].

قالى تعالى ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ أَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ ﴾[3]، الإحالة التي يقدمها الضمير في "اتخذوه "عائدة إلى العجل، وهذا إذا كان الوقف على كلمة "سبيلا".

أما إذا وصلت القراءة فإن مرجع الضمير يتغير، ويصبح راجع إلى"السبيل "، وهذا خلاف ما أراده الله تعالى، فالمتعجب منه هنا هو اتخاذهم العجل إلَاهًا من دون الله الواحد القهار .

ومما زاد في وضوح هذه الإحالة التي قدمها الضمير، تكرار الفعل "اتخذ" .

---

[1] سورة الأنعام: الآية [20].

[2] ينظر التحرير والتنوير،7/172،171.

[3] سورة الأعراف :الآية [142].

. قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾[1]، الوقف على كلمة "أولئك "، والذي حدد لزوم هذا الوقف هو إحالة الضمير المتصل في"لهم"، إذ إن القراءة لو وصلت لتغير المحال إليه في الآية، مما ينحدر منه فسادا للمعنى، وما هو مستقيم أن الإحالة مرجعها إلى من صد عن سبيل الله ويبغيه عوجا؛ حيث إن العذاب سوف يضاعف لهم، ولن يكون لهم أولياء ينصرونهم من دون الله .

ب /البيان الإحالي في الوقف على ضمائر الإشارة:

تطرقنا في الفصل الثاني إلى أسماء الإشارة، وتكلمنا عن الإحالة التي تقدمها، والآن سنبحث_بمشيئة الله _ عن مكامن البيان التي تظهر من خلال الوقف على بعض هذه الضمائر ، وسنكتفي بالإشاريين "ذلك " و"كذلك" .

ب1/الوقف على" ذلك":

رأينا _ فيما سبق _ كيف أن "ذلك" تربط بين نصين متعاقبين، وقال الإمام القرطبي_رحمه الله_ عن "ذلك" وأمثالها: هي كلمة يستعملها الفصيح عند الخروج من كلام إلى

[1] سورة هود: الآية[20].

كلام، وهو _كما قال الله تعالى_: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾[1] أي: هذا حق وأنا أعرفكم للطاغين كذا...[2]

لا يصح الوقف على "ذلك" في القرآن إلا في المواضع التالية [3]:

_ الموضع الأول: في قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾[4] ، فالوقف على "ذلك" يظهر من خلاله حسن ربط المعنى و إشراقه البياني، بخلاف أننا لو وصلنا القراءة، إذ إنه منقطع لفظيا عمّا سبقه .

والإحالة التي يقدمها "ذلك" هي إحالة نصية، أحالت إلى نص قبلي يحوي عبادة من عبادات الشرع الحنيف وهي: "الحج" بما فيه من المنفعة العظيمة للمسلمين، ولذلك كانت المقصدية الإحالية لـ "ذلك"التعظيم والتفخيم _ والله أعلم _ .

_ الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[5].

---

[1] سورة ص:الآية[55].

[2] أبوعبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، د ط، د ت، 229/16.

[3] ينظر:الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم ، ص274.

[4] سورة الحج: الآية[30].

[5] نفس السورة : الآية [32].

ـ الموضع الثالث: قوله تعالى:﴿ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[1] .

ـ الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَمِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.[2]

أما آية الموضع الثاني فإن "ذلك" يحيل إلى الآيتين السابقتين له، وكان موضوعهما: إباحة أكل الأنعام إلا ما يحرمه الله علينا.

ـ اجتناب الرجس من الأوثان، واجتناب قول الزور .

ـ النهي عن الإشراك بالله .

فكل هذه المواضيع الثلاثة قد أحال إليها الإشاري "ذلك"، وهذا لعظمة ارتكابها ومخالفة الشرع في اجتنابها، والنبرة التي يبعث بها "ذلك"تدل على تلك العظمة للمشار إليه .

وآية الموضع الأول من قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ ﴾متعلقة أشد التعلق بما بعدها من قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ﴾ ، فقد ذكر في الأولى "حرمات"، وفي

[1] نفس سورة: الآية [60].
[2] سورة محمد: الآية [4].

الثانية "شعائر"، والشعيرة أخص من الحرمة، وقد ذكر تعالى الأخص بعد الأعم للاهتمام[1].

وقد أسهما ضميرا الإشارة في كلا الآيتين من ربط المعاني ببعضها البعض، وبجعل هذه سببا من تلك .

وأما آية الموضع الثالث فقد أحال ضمير الإشارة إلى المعنى السابق من جزاء المهاجرين الذين هاجروا في سبيل الله، من الرزق الحسن، والمدخل الذي يرضونه .

والكلام الذي بعد "ذلك"استئناف جديد؛ ولذلك فالوقف عليها يبعث التنويه بما يناله هؤلاء المهاجرين من الخير الجزيل عند ربهم؛ وذلك جزاءً بما كانوا يفعلون .

وفي آية الموضع الرابع قد استعمل الله تعالى "ذلك" بالانتقال من خطاب "الذين آمنوا" إلى التبيين أنه بيده النص، وأنه لو يشاء لقضاه على الكافرين، وبهذا يكون التعالق المعنوي بين هذين الكلامين؛ بحيث أن الكلام الثاني هو نتيجة للكلام الأول، والذي يبرر بأن الكلامين متصلين هو إحالة الضمير في "منهم"، فهي راجعة إلى "الذين كفروا"من الكلام الأول، وهذه الإحالة بدورها أسهمت إسهاما فعالا في الربط بين الكلامين .

والوقف على ذلك في الآيات الأربع السابقة يعقد التنويه بما يسبقه، والالتفات إلى ما يلحقه، فعند قراءة القارئ واستعماله لهذا الوقف يُلفت السامع إلى ما سيجيء من كلام.

[1] ينظر:التحرير والتنوير،259/17.

ب2/الوقف على "كذلك":

المواضع التي يجوز فيها الوقف على "كذلك"هي:

_ الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرا﴾[1]

_ الموضع الثاني: قوله تعالى:﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[2]

_الموضع الثالث: قوله تعالى :﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[3].

._الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ﴾[4]

قيل بأن الكاف في "كذلك"للتشبيه، والمشبه به يتضمنه الكلام السابق بلفضه ومعناه .[5]

وما يهمنا في عرضنا لهذه العيّنات، هو استخلاص القيمة الإحالية للإشاري "كذلك" والدور الذي لعبته الكاف هنا زيادة في الربط بين إسم الإشارة، وما قبله، ثم النظر في المعنى البياني الذي يعطيه الوقف على هذه المواضع .

---

[1] سورة الكهف: الآية[91].

[2] سورة الشعراء: الآية[59].

[3] سورة فاطر: الآية [28].

[4] سورة الدخان: الآية [28].

[5] ينظر: التحرير والتنوير،29/16.

ومن الملاحظ أن العنصر الإشاري "كذلك"توظيفه في الآيات السابقة، إنما للإشارة للكلام السابق، وبما يحويه من معاني ترتفع في أذهاننا بارتباطها به، لذلك فلإشارة للتعظيم، فهي تحيلنا إلى النعم والخيرات التي أنعمها الله تعالى على عباده، وتظهر في الآيات على النحو التالي:

الآية	موضوع الآية قبلها
﴿كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا﴾	النعم التي أنعمها الله تعالى على ذي القرنين.
﴿كذلك وأورثناها بني إسرائيل﴾	النعم التي أنعمها الله تعالى على فرعون .
﴿كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾	التذكير ببعض ما أنعم الله تعالى على أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ..
﴿كذلك وأورثناها قوما آخرين﴾	النعم التي أنعمها الله تعالى على فرعون.

وإذا أمعنا النظر وجدنا أن الآيات بعد ضمير الإشارة شديدة التعلق بما قبلها؛ حيث إنه لا يمكن أن نفهمها بمعزل عمّا سبقها، وذلك بسبب عود الإحالة التي تقدمها الضمائر على مسميات موجودة قبل ضمير الإشارة .

ونستثني من ذلك آية سورة فاطر، فلا وجود لعنصر إحالي بعد "كذلك" يرجع إلى ما سبقها، ولذلك فإن الكلام بعدها منفصل عمّ قبله، والإحالة التي يقدمها العنصر الإشاري "كذلك" في غاية البلاغة ؛ إذ إن الله قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُود وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[1]، فأحال "ذلك"على سابق من قوله تعالى: «ألم تر» إلى قوله : «وخمر مختلف ألوانها» والمعنى :أنه كما جعل المشار إليه "مختلفا ألوانه"؛ فقد جعل من الناس، والدواب، والأنعام،كمثل ما خلق مختلفا ألوانه .

ولنا أن نبرر في هذا الجدول ذلك التعالق، الذي قلنا أنه ينشأ في آيات (الموضع الأول ،والثاني، والرابع).

[1] سورة فاطر: الآيتين[27،28].

الآية	العنصر المحيل	المحال إليه	موقع المحال إليه في النص
آية سورة الكهف [91].	الضمير في "لديه".	ذو القرنين.	الآية [83].
آية سورة الشعراء[59].	الضمير في "أورثناها".	الجنات والعيون والكنوز.	الآيتين [57،58]
آية سورة الدخان[28].	الضمير في "أورثناها".	جنات،عيون،زرو ع ،نعماء.	الآيات [25،26،27]

3/بلاغة التقديم والتأخير بين المُحيلِ والمحال إليه:

يعدّ مبحث التقديم والتأخير مبحثا شيقا في تراث البلاغيين، فبه يحسن الكلام، ويتضح به المقصد لدى السامع بين هذه التراكيب وتلك، فمن خلال توضُّع الألفاظ تنشأ المعاني المِضْفَاةُ لتركيب على تركيب.

ولقد رأينا – في ما سبق – كيف أن الإحالة النصية يتقدم فيها المحيلُ أو المحال إليه بحسب اقتضاء السياق لذلك .

والمقصد من إيراد هذا العنصر هنا هو من باب الإشارة فقط، وإلا فإن البلاغيين قد سبقونا في استخراج المعاني الكامنة في تغير مراتب الألفاظ.

أ/تقديم المُحيل على المحال إليه:

قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولواْ أَهَؤُلاء مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾[1].

بحسب أهل التفسير [1] أن الضمير في "بعضهم"ينسب للمشركين، والمرا د"ببعض" أهل الإيمان، ولذلك فالقول ينسب لأهل الإشراك على سبيل التهكم والازدراء.

[1] سورة الأنعام : الآية[53].

و"هؤلاء" مرجعها إلى أهل الإيمان وقدمت على خبرها "منّ"ليفهم من الآية التهكم ،والسخرية؛ إذ أن الآية لو كان تركيبها على هذا النحو: (...أمنّ الله عليهم من بيننا) لم نفهم المعنى الذي فهمناه منها على نحوها.

ومن الآيات التي قدم فيها اللفظ المحيل على المحال إليه قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾[2]، وقوله: ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾[3]، وقوله: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾[4].

ففي الآيات السابقة تقديم اللفظ المحيل (هي، هو ،هي)على التوالي، جاء لأغراض بلاغية هي التعظيم، والتوكيد، ولا يجوز معها التأخير.

وقد يكون ذلك التقديم للتهكم، والسخرية مثل :

---

[1] ينظر:عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير،تفسير القرآن العظيم ،مصطفى السيد محمد وآخرون ،دط ،دت ، مكتبة أولاد الشيخ، 45/6. 46، والتحرير والتنوير،253/7 . 254.

[2] سورة الأنعام: الآية [29].

[3] نفس السورة: الآية [90].

[4] سورة الصافات: الآية[19].

-قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1]، وقوله : ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾[2].

ب/تقديم المحال إليه على اللفظ المحيل: من ذلك :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ﴾[3]، وقوله: ﴿ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾[4].

ففي الآية الأولى قدم المحال إليه للاختصاص، وحصر صفة الرزق على الله تعالى، ثم إن الآية جاءت مسبوقة بأن،كما أن كل الصفات جاءت معرفة، وهذا للزيادة في التوكيد .

وفي الآية الثانية جاء المحال إليه "أفسحر" مقدما على "هذا"، وذلك للزيادة في قوة التهكم، والسخرية من المشركين، وهذا يوم يرون جهنم رأي عين بعدما كذبو نبينا – صلى الله عليه وسلم – ورميهم القرآن بالسحر، يناديهم ربنا في ذلك اليوم بقوله : «أ فسحر هذا»، عندها تأخذهم الحسرة على تفريطهم في جنب الله، ولكن يومها لا ينفع الندم .

4/ الأثر الإحالي في حسن النظم :

---

[1] سورة النحل : الآية[101].

[2] سورة المؤمنون: الآية[24].

[3] سورة الذاريات: الآية [58].

[4] سورة الطور: الآية [15].

لا يخفى على ذي لب ذلك الجمال الإحالي الذي يظهر في القرآن من تموقع أدوات الربط الإحالي، سواءً من جانبه الصوتي، أو جانبه المعنوي .

أ/ الجانب الصوتي :

يظهر ذلك من خلال تكرار أدوات الربط الإحالي مثل ما نجدة في سورة" الشمس " حيث قال تعالى: ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاها وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾[1].

فالناظر لهذه السورة الكريمة يجد أن الضمير الإحالي قد أعطى سمة جمالية في رسم النسيج الصوتي للسّورة ككل .

ومما زاد في جمالية هذا الضمير أنه ينتقل من مقطع إلى مقطع يتبدل فيه المحال إليه والمحيل واحد.

[1] سورة الشمس.

فكل ذلك التشكل الإحالي لمقاطع السورة يبعث فينا الأنس الروحي والطمأنينة القلبية، والراحة النفسية، ويزيد في نفوسنا الشعور بالرعاية الإلاهية، بعدما كان الضمير يلوح إلى عظم خَلْقِ الخالق، وحسن تدبيره بحكمته البالغة، وعلمه الواسع.

وقد يكون الغرض الإحالي من الضمير التهويل والترعيب مثل ما نقرأه في بداية سورة "الزلزلة"قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾[1]، فكل أولئك الهاءات تبعث فيك الفزع الذي يكون يوم القيامة، من زلزلة الأرض، وقيام الناس بين يدي رب العالمين، وهي مشكّلة على مقطع واحد لاتصال المشهد ببعضه البعض، واستحالة أن يقدم حدث على حدث أو نفصله عما بعده .

والأحداث تتتابع كما هو مبين :

زلزلة الأرض ⟵ خروج أثقالها ⟵ تساؤل الإنسان عنها ⟵ تكلم الأرض ⟵ إقرارها بأن الله أوحى لها.

من هذا التشكل تنطلق براعة النظم بحسن تموقع الألفاظ التي تؤدي المراد من خلال إلحاقها بألفاظ الإحالة المحيلة إلى شيء واحد هو "الأرض"، وكأنك ترى المشهد رأي عين.

[1] سورة الزلزلة :الآيات[1. 2.3.4.5].

وقد يكون للضمير الإحالي غرض آخر هو العتاب والزجر، وهذا ما نجده في سورة "المنافقون"، حيث جاء الضمير "هم "يحيل إلى المنافقين المذكورين في بداية السورة ، وهذه الإحالة جاءت مثبتة في غالب السورة ، وقد أسهمت في بناء الهرم الصوتي لها، بالاضافة إلى ما تقدمه من توكيد ضدهم من أعمال خبيثة، وتصرفات منبوذة .

فالله تعالى كلما اراد أن يثبت صفة ضدهم يستعمل معها ذلك الضمير الإحالي، ليضفي هذا البناء استكمال النظم الخارق للسورة ككل .

ب/ الجانب المعنوي :

إن الجانب الذي تضفيه الإحالة قدمنا من أشكاله في "الفصل الثاني " مما يسهل علينا عدم استطراده في هذا المقام .

إلا أننا لم نتناول في ذلك المقام الاتساع الإحالي الذي يمتد في أطراف السورة، ولم نتطرق إلى ما له أهمية في الاتساق على طول النص .

ولذلك ارتأينا أن نقف على بعض الأمثلة التوضيحية لاستكناه الأثر الذي يدركه القارئ للقرآن من خلال التوظيف الإحالي .

ولنقف مثلا على سورة "الطور"لنبحث فيها ذلك الأثر الذي يتركه استعمال الإحالة في جمع أطراف النص، وأجزائه .

يبدأ الله تعالى في هذه السورة العظيمة القسم بأشياء عظيمة عنده وهي :(الطور الكتاب المسطور، البيت المعمور، السقف المرفوع، البحر المسجور)، ثم يخاطب الله تعالى نبيه – صلى الله عليه وسلم – بأن عذابه واقع للكافرين، والمكذبين الذين جرى ذكرهم في قوله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾[1]، وأحيل إليهم حتى الآية[15]، مع ورود إحالات ثانوية مثل الإحالة إلى النار في قوله تعالى: ﴿ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾[2]، وهي إحالات ناتجة عن الإحالة المركزية، فذكر المكذبين يوجب ذكر النار وما أُعِد لهم فيها.

ثم تتبدل الإحالة المركزية الأولى، فذكْرُ المكذبين وما أعد لهم يستلزم ذكر المتقين وما أعد لهم ربهم في جنات النعيم؛ حيث قال عز من قائل : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴾[3] ويتواصل مرجع الإحالة للمتقين إلى الآية [20]، ثم ذُكر الذين آمنوا ولا شك أنهم أعم من المتقين، فتحولت الإحالة لهم وهم جميعا من أهل الجنة ونعيمها، وتتفرع على هذه الإحالة الأخيرة، إحالة إلى الكأس التي يتنازعها أهل الجنة في الجنة؛ حيث قال تعالى: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾[4].

---

[1] سورة الطور: الآية[11].

[2] نفس السورة: الآية[14].

[3] نفس السورة: الآية[17].

[4] نفس السورة: الآية[23].

ونظرا للنعم التي أنعمها الله تعالى على المؤمنين، كان ذكرهم له بما هو أهل له فقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾[1] فأحالت الضمائر في "ندعوه"و"إنه"و"هو" إلى الله ربهم الحق .

ثم تعود السورة لخطاب نبينا – صلى الله عليه وسلم – فيقول تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾[2]، وهذه الآية عظيمة المناسبة بأختها التي خاطبه الله بها في بداية السورة حين قال: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾[3] فنفي العذاب ورمي النبي الكريم بالكهانة، والجنون، أمران واردان عن الكفار – عليهم لعائن الله تترا إلى يوم يبعثون-.

كما أن أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – بالتذكير يناسب ذكر وقوع العذاب في الآية الأول، ذلك أن رحمة الله تعالى سبت عذابه، فبرغم ما كان من الكفار من الإعراض وصدهم عن ذكر الله كثيرا ، لم يعاقبهم الله بل أوصى نبيه بمواصلة الدعوة إليه .

ثم تتجدّد الآيات في مجادلة ومحاجّة أهل الكفر والبغي ودحض حججهم الواهية بعدم إيمانهم وتصديقهم د عوة نبيهم، فكانت الإحالات راجعة إليهم مرة أخرى؛ لأن ذكر الكفار وما يتعلق بهم هو الموضوع المركزي لهذه السورة .

---

[1] نفس السورة: الآية[28].

[2] نفس السورة: الآية[29].

[3] نفس االسورة: الآية [7].

وتنتهي مجادلة هؤلاء الكافرين بأمر النبي – صلى الله عليه وسلم – بأن يذرهم بعدما بلغهم، فهم موعودون بيوم تتبدل فيه الأرض غير الأرض والسماوات، فقال ربنا – جل و علا– : ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[1].

وفي آخر هذه السورة يخاطب الله تعالى محمدا _ عليه الصلاة والسلام _ بأن يصبر لحكم ربه الذي يراه ويحميه من غدر الكافرين.

وأمرُ الله النبي بالصبر أمرٌ شديد المناسبة بما قبله، وذلك حين أمره بالتذكير والدعوة لعبادته وحده؛ لأن هذا يقتضي الصبر، والمجاهدة المتواصلة دون انقطاع .

ومن خلال المعاني المرتبة في هذه السورة نشأت ثلاث إحالات مركزية تدور عليها المعاني الكلية، وتنتشر على طول النص بحسب اقتضاء السياق لها .

ومن هذا النظم البديع ينتج الاتساق الظاهر على جميع سور القرآن الكريم، وآياته.

[1] نفس السورة: الآيتين[46.45].

خاتمـــــة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

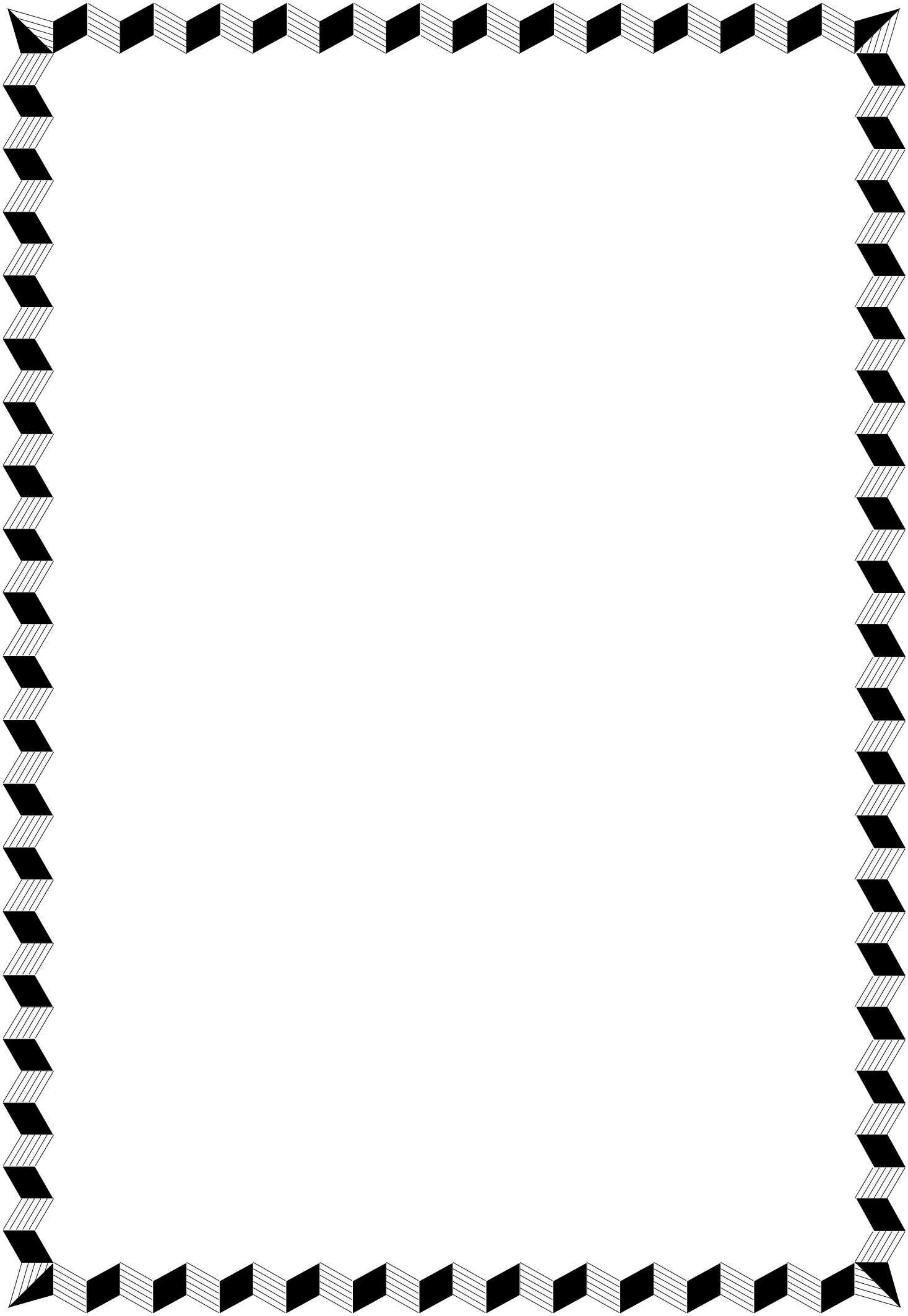

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخاتمة :

بالرغم من أهمية موضوع الإحالة في ربط أجزاء النص بعضه ببعض، وفي تحقيق رصانته ، ووحدة انسجام معانيه، إلا أن هناك وسائل أخرى تقوم بهذه الوظائف منها :الإبدال،والحذف،والربط(الوصل والفصل)، والتماسك المعجمي، وكل يشارك في بناء النص واتساقه، فلا ينبغي أن يفهم أن التماسك متوقف على وجود عنصر من هذه العناصر وحده،وإنما الأمر يستدعي حضور هذه الوسائل، وأخرى ما زال البحث قائما في استجلائها وتحديد قواعدها.

والإحالة بوصفها أبرز هذه العناصر لها عدة وسائل تأتي معها منها ما تم تناوله في هذا البحث ومنها ما لم يسعنا المقام لذكرها، وأهم هذه الوسائل الإحالة بالضمائر .

وقد تبين لنا أن الإحالة نوعان :

1/**الإحالة العامة**:وهي الإحالة التي تنقسم إلى:

أ/**الإحالة النصية** (الداخلية) :وهذه الإحالة تسهم إسهاما فعالا في تماسك أطراف النص وأجزائه، وهذا النوع من الإحالة يعد ضرورة ملحة للنص؛ لأن بواسطتها يتم توفر معيار النصية ،وتنقسم هذه الإحالة بدورها :

أ1/**الإحالة القبلية** (السبقية).

أ2/**الإحالة البعدية**(اللّحاقية).

ب/الإحالة المقامية (الخارجية):وهذا النوع من الإحالة لا يستدعي و جود نص ما، وإنما الأمر يتعلق بالمقام وظروفه الخاصة كمراعاة حال المخاطبين واستعمال الوسائل الناجعة لإفهامهم، والإحالة تتنوع بتنوع طريقة الخطاب (كلغة الصم البكم ،ولغة الأطفال الصغار) فهذا التنوع يفرض وجود وسائل إحالية أخرى.

وتنقسم هذه الإحالة إلى:

ب1/الإحالة بالنطق (اللغة).

ب2/الإحالة بالإشارة.

2/الإحالة الخاصة:وهذه الإحالة تدور بين النصية والمقامية، وتنقسم إلى:

أ/الإحالة إلى داخل النص.

ب/الإحالة إلى خاج النص.

ويمكن التمثيل لهذه الأنواع بالمخطط ا

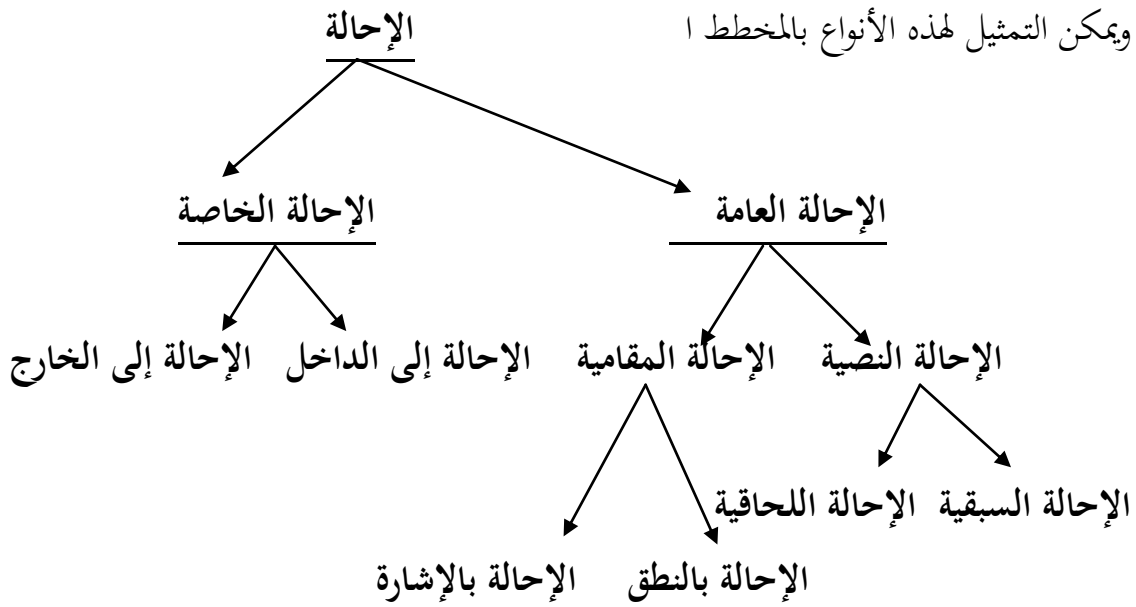

وبهذه المحاولة البسيطة التي أردنا من خلالها إزالة الضبابية عن مصطلح الإحالة وعن ما يتعلق بها من مفاهيم نصية جديدة انفتحت عليها الدراسات اللغوية المعاصرة، سنحاول في هذه الأسطر أن نعرض نتائج البحث .

بعد العرض السابق يمكن استخلاص النتائج التالية:

1/الإحالة مصطلح نشأ في الثقافة الغربية المعاصرة، إلا أن له جذورا في تراثنا العربي، ولكن ليس بهذا المصطلح، وإنما بمصطلحات منها: المفسر، والعائد، والمرجع، وهي مصطلحات تضمها الإحالة.

2/تشعب موضوع الإحالة واستحالة تقييد مفهومها بالسياق الخطي للغة ، ذلك أنها تأخذ أشكالا شتى في التواصل البشري.

ولقد رأينا في الفصل الأول ذلك الارتباط الوطيد بين عناصر الإحالة وعناصر التواصل، بما يتيح لها امتدادا واسعا في الاستعمال، بين المكتوب من الكلام والمنطوق، وربما أنها تمتد إلى التعبير بالإشارة .

3/الإحالة موضوع لساني حديث له جذوره في الثقافة العربية ، فمما لا يتجادل فيه اثنان أن في التراث اللغوي العربي ومضات تومئ إلى أن علماء العربية كانت لهم إسهامات متنوعة في التطرق إلى مفهوم الإحالة بمعناها الذي عرفناه لها في الدراسات الغربية، وإن كان بعضها مقصورا في حدود الجملة إلا أن الكثير منها تجاوز حدود الجملة إلى النص وهذا الذي وجدناه عند المفسرين

والبلاغيين والأصوليين، حتى ولئن كانت دراساتهم وجهتها الجملة ،إلا أنها تصلح أن تكون في الكثير من الأحيان عنوانا لتحليل النصوص.

ومما يمكن استنتاجه من دراسات الأصوليين، أننا نطلق مصطلح الإحالة السبقية والإحالة اللحاقية عوض القبلية والبعدية، ذلك أن هذين المصطلحين لهما جذورهما في الموروث العربي.

4/الوظيفة الحقيقية للإحالة تظهر من خلال ظهورها في السياق النصي، فهي تعمل على ربط أجزاء النص ببعضه البعض، وتجعله متَّسِقا تبنى فيه المعاني على نسق واحد يصعب التأويل لها دون الرجوع إلى الرحم الذي خرجت منه .

وكما ربطت الإحالة أجزاء النص فكذلك تعمل في الجملة نفس العمل، إلا أن عملها في النص أوضح، وأثرها عليه أظهر .

والإحالة تربط النص بمقامه الذي وجد فيه وهذا من خلال الإحالة إلى ما هو خارج النص؛ حيث تمد جسرا بين ما هو لغوي وما هو غير ذلك، وبهذا تُدحض نظرية المفارقة التي نادت بعزل النص عن جميع سياقاته الخارجية .

والقرآن الكريم كتابنا المقدّس الذي له خصوصياته التي تجعله يختلف عن النصوص البشرية فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن نطبق عليه نظرية لسانية مهدُها الغرب مثال :نظرية القراءة التي نادت بموت المؤلف...

5/الوسيلة الأكثر حضورا في النص القرآني :الإحالة بضمائر الأشخاص، فحضورها في النص يعد أمرا ضروريا، فهي على ما تعمله من خلال ربطها النحوي وعدم التكرار الذي ينبو عن المسمع،فهي _كذلك_ تجعل النص منسجم المعاني، متسق المباني، يَلْقَى فيه القارئ اتصالا بين تراكيبه وبين دلالاته، وتجعله حاضر الذهن لأجل معرفة المحال إليه وعدم انصرافه إلى غيره، وبذلك يكون النص مع قارئه كحلقات السلسلة الواحدة التي يشد بعضها بعضا.

6/علاوة على ما قدمناه من وسائل إحالية في الفصل الثاني، فهناك وسائل أخرى لم يتسع المقام لذكرها جميعها مثل: التكرير، والتفسير الذي يتجاوز الترابط الشكلي بين الجمل إلى ما هو دلالي يمس المعنى بالدرجة الأولى، ولكن اختيارنا كان له سببه فيما أفصحنا عنه في مقدمة هذا البحث.

7/الإحالة إلى النص تتجسد من خلال ضمائر الإشارة بخلاف ضمائر الأشخاص؛ فإنها تحيل إلى مفردات موجودة داخل النص أو خارجه، وهذه الأخيرة هي الأكثر إحالة إلى خارج النص.

8/الإحالة السبقية كان نصيبها في القرآن أكثر من الإحالة اللحاقية؛ ذلك أن الحاجة ماسة لتبيين أحكام قد لصقت بما تم ذكره من قبل، وحاجتنا –نحن البشر– لمعرفة كل ما يتعلق بشؤون هذه الحياة، والقرآن قد جاء لتبيين هذه الحاجات في خطاب متصل تلتصق فيه المعاني مع بعضها البعض.

وحاجة المخَاطَب لاستزادة المعاني التي تخدمه وعدم اكتفائه بما تم له تلقيه،أوعناده وعدم إقراره بما هو بين يديه،يبرر سبب كثرة الوسائل الإحالية التي تشير إلى سابقٍ في الذكر مُلْحَقٍ في الحكم.

9/من الملاحظات التي عايناها في النص القرآني أنه يكثر استعمال ضمائر الأشخاص (متصلة ومنفصلة) مكررة في الموضع الواحد، بما يجعلها تقدم أغراضا أخرى غير الربط ،وهذا باب جمّ الفائدة ،عظيم المسلك، بعيد المرام، فخم الغاية، يضفي على الإحالة مقاصدا بلاغية قد اجتهدنا في إجلائها في مقامها.

وهذا المسلك نجده _كذلك_ يتكرر مع الإشاريات وضمائر الأشخاص مثل :"أولئك هم" أو مع الإشاريات والموصولات مثل:"أولئك الذين" وكل أولئك بيناه في موضعه.

10/ أضفى الضمير المنفصل قوة الإحالة، فهو يعمل على تأكيد الإحالة السابقة و إلصاق الحكم المثبت بها، وخاصة فيما يتعلق بالعائد على عنصر إشاري معجمي،وبهذا يفيد التأكيد والاختصاص.

والحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات.

المحـــــــتويات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

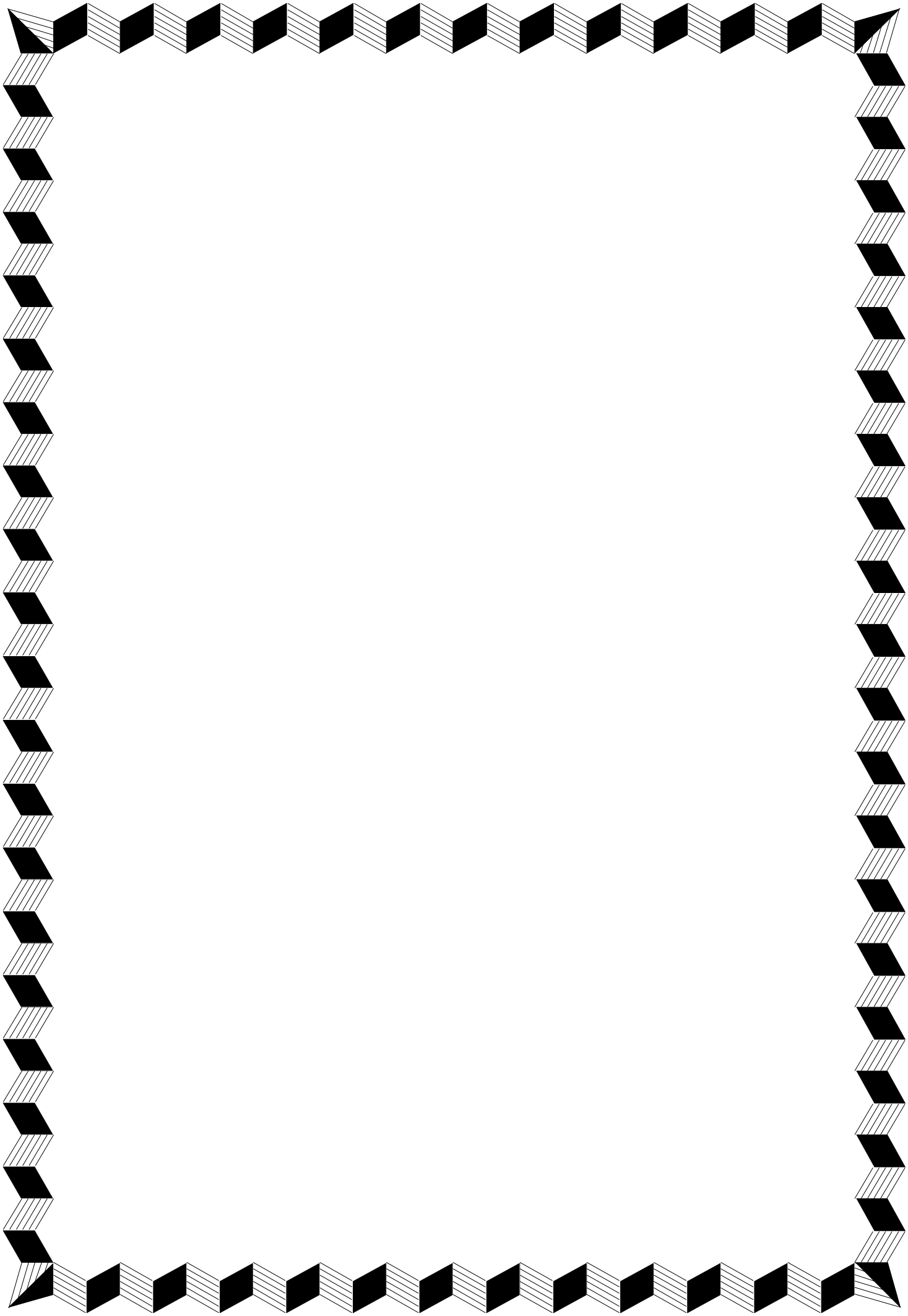

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ- ج
تمهيد	09-01
الفصل الأول: الإحالة مفهومها وموقعها من التواصل	47-10
مفهوم الإحالة	11
إشكالية الإحالة بين التسمية والوقوع	16
السياقات التي ترد فيها الإحالة	18
السياق النصي	18
سياق الجملة	20
بنية الكلمة	25
السياق المقامي	27
عناصر الإحالة	28
المتكلم/الكاتب	29
العنصر المحيل	30
المحال إليه	32
التطابق بين العنصر المحيل والمحال إليه	33

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وظيفة الإحالة في إطار التواصل	34
الوظيفة النحوية	35
الوظيفة البلاغية	40
أنواع الإحالة	44
الفصل الثاني : وسائل حدوث الإحالة في العرف اللساني	46-
وسائل الربط **الإحالي في العربية**	49
الضمائر	49
الضمائر الدالة على المتكلم	49
الضمائر الدالة على المخاطب	53
الضمائر الدالة على الغائب	47
القيمة الإحالية للضمائر	61
	49
	52
	52
	58
	60
	62
	63
	66

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

67	
67	
70	
71	
72	
75	
77	
79	
81	
82	
85	
88	
131-91	
92	
98	
100	
102	
109	

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

117	
119	
123	
131	

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المصادر والمراجع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

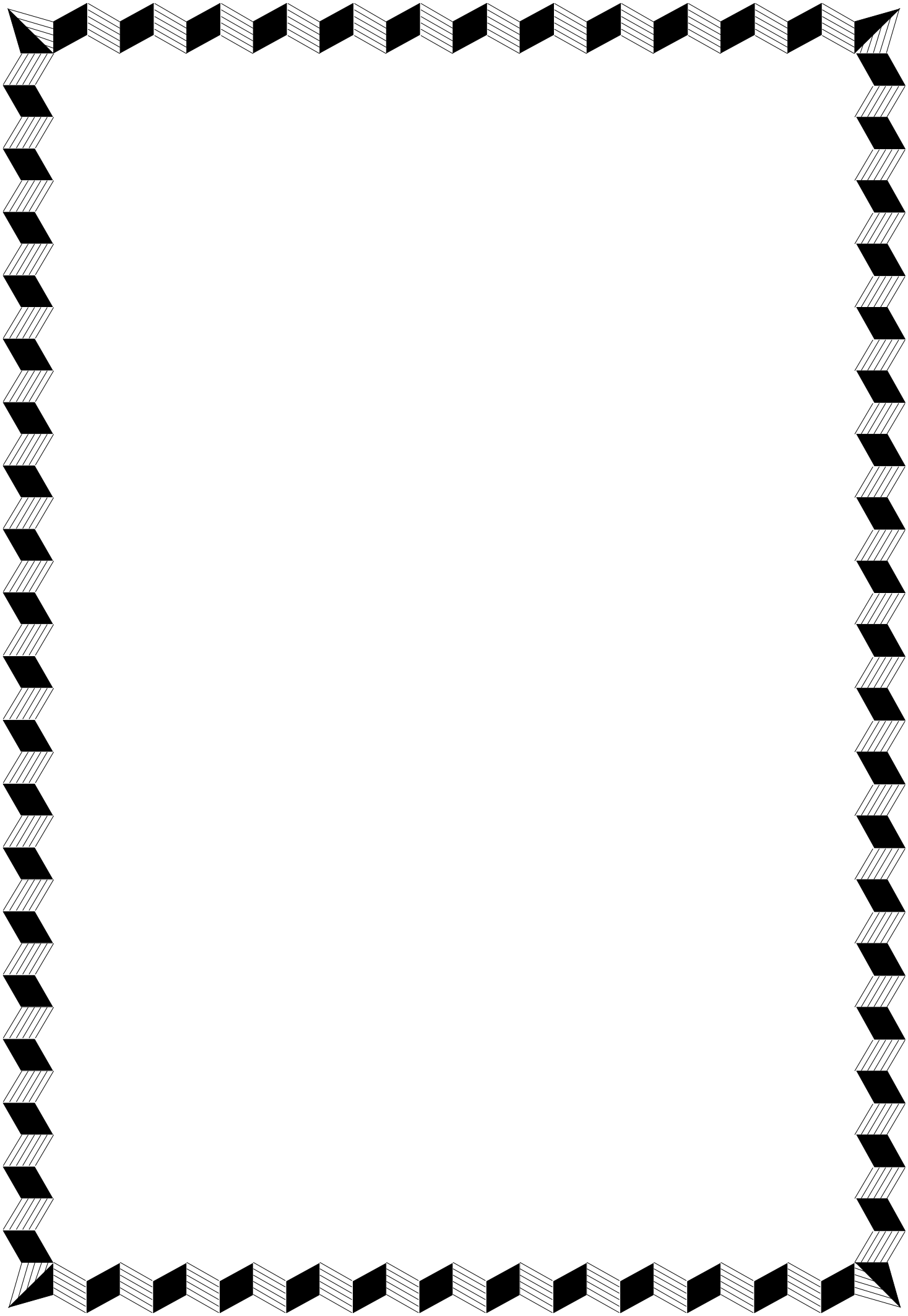

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1/ إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، ط1، 2007م، دار المسيرة عمان، الأردن .

2/ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1982 م.

3/ ابن عطية، المحرر الوجيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط1، 2001.

4/ ابن هشام ، شرح شذوذ الذهب ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد،دط،دت.

5/ ابن هشام الأنصاري، قطر الندى و بل الصدى تح: إبراهيم قلاتي د ط، د ت.

6/ ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تح: فيصل عيسى البابي، دط، د ت.

7/ أبو البركات كمال الدين عبد الرحمان بن محمد بن أبي سعيد، أسرار العربية، تح :محمد بهجة البيطار، المجمع العلمي العربي، دط، دت.

8/ أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط ،تح:الشيخ عادل أبي محمد عبد الموجود،والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ،ط1،1993م، 51/4.

9/ أبوعبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، د ط، د ت.

10/ أبو عثمان عمرو بن بحر بن الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي،ط7، 1998م.

11/ أبو الفتح عثمان ابن جني ، الخصائص، تح:محمد علي النجار، دار الهدى، لبنان ، دط 1952م.

12/ أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح :مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، القاهرة، ط 1 1981م.

13/ أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تح:نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1 1983م.

14/ أحمد بن عبد الكريم الأشموني، منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ط2.

15/أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، كلية دار العلوم القاهرة ، د ت، د ط.

16/ الأزهر الزّناد، نسيج النص، المركز الثقافي العربي، ط1، 1993.

17/ الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، د ط ، د ت.

18/ برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور د ط ، د ت ، دار الكتاب الإسلامي . القاهرة .

19/ تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1994م.

20/ تمّام حسّان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة ط1، 2007م.

21/ تمّام حسّان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب ، القاهرة، ط1، 1993م .

22/ جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ا لكشاف، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، مكتبة العبيكان الرياض، ط1 ، 1998م.

23/ حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، ط1، دت، مكتبة زهراء الشرق . القاهرة.

24/ حسن بحيري ، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ،ط1، 1997م، الشركة المصرية لونجمان، الجيزة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت .

25/ حسن طبل ، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، دار الفكر، القاهرة، ط د 1998م .

الرضي الاستراباذي، شرح الكافية، جامعة قاريوس، د ط ، 1978م .

26/ روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، تر:تمّام حسّان ، ط1، 1998م، عالم الكتب، القاهرة .

27/ سيبويه أبو عثمان عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، دط، دت.

28/ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة، ط1 ، 2000م .

29/ الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر، دط، 1984م .

30/ الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، منشورات الاختلاق، ط1، 2007م.

31/ عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر ، ط3، دت .

32/ عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني ، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، ط1، 1992م مكتبة وهبة ، القاهرة.

33/ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح:عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان ط1 2001م.

34/ عبد الكريم إبراهيم عوض صالح، الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم ،دار السلام ط1، 2006م

35/ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير،تفسير القرآن العظيم ،مصطفى السيد محمد وآخرون دط، دت ، مكتبة أولاد الشيخ

36/ عمر أوكان، اللغة والخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، دت.

37/ كمال الدين أبي البركات عبد الرحمان بن أبي سعيد الأنباري(ت 577هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين،تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع القاهرة، د ط، د ت.

38/ محمد خطابي، لسانيات النص، الدار البيضاء، المغرب ، ط2، 2005م.

39/ Halliday m.a.k and ruqaiya hasan (1976) cohesion in english .long man London p37.

الملخص:

يُعدُّ النص القرآني النص الخالد بجميع ما يحويه من بلاغة تجلى سحرها على مر العصور والأزمنة ومن بينها: وجه اتساقه النصي وترابط آياته ومعانيه على نحو لم تعهده العرب في كلامها، فجعل الدارسين يتوافدون عليه بالدراسة والتحليل.

وهذه دراسة تحليلية تسعى إلى استجلاء مقاصد ا **لإحالة** من خلال النص القرآني الذي لعبت فيه الوسائل الإحالية دورا فاعلا في ربط المعاني مع بعضها البعض على نسقٍ لم يكن للمتلقي أن يَفْهَمَهُ إلا بحضوره الذهني على مدى يمتد طولا وعرضا.

ويركز البحث على المرامي البلاغية التي تظهر مع الوسائل الإحالية، وهذا في إضافتها معاني لا تفهم إلا من خلال النسق الذي وردت فيه، فلهذه الوسائل أغراضٌ تسهم في تفعيل الربط الذي ما هو إلا جزءٌ من عمل أكبر يمتد على طول النص.

الكلمات المفتاحية: النص القرآني، الاتساق النصي، مقاصد الإحالة، الوسائل الإحالية، تفعيل الربط، إحالة، اتساق.

الملخص

النص القرآني نص خالد بجميع ما يحويه من بلاغة تجلى سحرها على مر العصور والأزمنة،ومن بينها: وجه اتساقه النصي وترابط آياته ومعانيه على نحو لم تعهده العرب في كلامها،فجعل الدارسين يتوافدون عليه بالدراسة والتحليل.وهذه دراسة تحليلية تسعى إلى استجلاء مقاصد **الإحالة** من خلال النص القرآني الذي لعبت فيه الوسائل الإحالية دورا فاعلا في ربط المعاني مع بعضها البعض على نسقٍ لم يكن للمتلقي أن يَفْهَمَهُ إلا بحضوره الذهني على مدى يمتد طولا وعرضا.ويركز البحث على المرامي البلاغية التي تظهر مع الوسائل الإحالية، وهذا في إضافتها معاني لا تفهم إلا من خلال النسق الذي وردت فيه،فلهذه الوسائل أغراضٌ تسهم في تفعيل الربط الذي ما هو إلا جزءٌ من عمل أكبر يمتد على طول النص.

الكلمات المفتاحية:

النص القرآني؛ الاتساق النصي؛ الإحالة؛ المقاصد والدلالات؛ الوسائل الإحالية؛ تفعيل الربط؛ لسانيات النص؛ بلاغة الخطاب؛ الأسيقة و المقامات؛ التواصل اللساني.

نوقشت يوم 15 جوان 2015